

الفصل الثاني

كتب علوم القرآن

تناولنا في الفصل الأول ما جاء من علوم القرآن التي حظيت بها مقدمات أشهر كتب التفسير ذات الاتجاهات المختلفة على مدى خمسة قرون، والتي باننت لنا من خلال درس مقدماتها أنها كانت النواة الأولى للتأليف في علوم القرآن مجتمعة، بداية من ابن جرير الطبري (ت ٥٣١٠هـ).

والذي أفرد مقدمة تفسيره لهذا الدرس الذي غلب عليه الطابع اللغوي ممثلاً للجانب النقلى. ثم ما جاء بمقدمة تفسير الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) الذي غلب عليه الطابع البلاغي على طريقة أهل الاعتزال. ثم ما جاء بمقدمة تفسير القرطبي (ت ٦٧٠هـ) والذي غلب عليه الطابع الفقهي. ثم ما آل إليه التأليف من الاختصار متمثلاً فيما جاء بمقدمة تفسير ابن جزى (ت ٧٤١هـ) ويمثل أهل المغرب. وإذا نحينا جانباً من ألف في علوم القرآن مفردة وهم كثير: كفضائل القرآن لأبي عبيد، وأسباب النزول للواحدي، والناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة، وغير ذلك كثير لا حصر لها فبالرغم من أن ابن النديم من وفيات القرن الرابع الهجري، إلا أنه عد منها الكثير في كتابه الفهرست^(١).

حيث عد تحت تسمية الكتب المصنفة في تفسير القرآن تسعة وأربعين تفسيراً وعد الكتب المؤلفة في معاني القرآن ومشكله ومجازه خمسة وعشرين مؤلفاً وكذلك الكتب المؤلفة في غريب القرآن وفي لغاته وفي قراءاته، وكذا الكتب المؤلفة في النقط والشكل

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٣٦ وما بعدها، طبع المطبع الرحمانية بمصر.

النص القرآني عند الزركشي بين الفهم والتدقيق

للقرآن إلى غير ذلك من كتب علوم القرآن المفردة لفن واحد حتى عصر ابن النديم فما بالك بما ألف بعده؟.

وما يهمننا في هذا المبحث هي كتب علوم القرآن التي جمعت علوم القرآن وليست المصنفات التي استقلت بفن واحد والتي يمكننا أن نعدها تفسيراً للقرآن بالإضافة إلى ما كتبه اللغويون في علوم القرآن كأبي عبيدة في كتابه المجاز، ومعاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج والفراء، وغريب القرآن لأبن قتيبة إلى غير ذلك من التصانيف الكثيرة التي لا طائل من ذكرها، فإن الفضل الأول لتأليف علوم القرآن مجتمعة يرجع إلى أصحاب كتب التفسير فيما أفردوه من مقدمات قيمة عن علوم القرآن نهبت العلماء إلى أفراد كتب في علوم القرآن مجتمعة.

ومن هذا المنطلق تتبعت تلك المؤلفات للوقوف على البداية الحقيقية للتأليف فقد أشار بعض الباحثين إلى وجود مخطوطة بمكتبة بلدية الإسكندرية باسم عجائب علوم القرآن لابن الأنباري ت ٣٢٨هـ، ولقد لفتت نظري تلك المخطوطة، لتقدم مؤلفها حيث إنه من وفيات سنة ٣٢٨هـ، وابتداء من ابن الأنباري دار بحثي عما كتب في علوم القرآن مجتمعة، وحصرت ما كتب بعده مرتباً ترتيباً تاريخياً بالآتي:

- ١- كتاب عجائب علوم القرآن لابن الأنباري ت ٣٢٨هـ^(١).
- ٢- كتاب نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني ت ٤٠٣هـ^(٢).

(١) أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ت ٣٢٨هـ: عجائب علوم القرآن، مخطوطة بلدية الإسكندرية رقم ٧٠٣١/٣٥٩٩ ج، ومصوره بمعهد المخطوطات جامعة الدول العربية رقم ١٤٨.

(٢) الإمام أبو بكر الباقلائي ت ٤٠٣هـ: نكت الانتصار لنقل القرآن، طبع منشأة المعارف بالإسكندرية تحقيق د. محمد زغول سلام.

النص القرآني عند الزركشي بين الفهم والتذوق

- ٣- كتاب البرهان في علوم القرآن للحوفي ت ٤٣٠هـ (١).
- ٤- كتاب فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي ت ٥٩٧هـ (٢).
- ٥- كتاب المجتبا من المجتبا لابن الجوزي ت ٥٩٧هـ (٣).
- ٦- كتاب جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي ت ٦٤٣هـ (٤).
- ٧- كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي ت ٧٩٤هـ (٥).

ها هي ذى المؤلفات التي ظهرت لنا مكتملة في علوم القرآن، ثم جاءت المرحلة الثانية من البحث: وهي عرض ما جاء بتلك المؤلفات من علوم القرآن، وبدراسة تلك المؤلفات اتضح الآتي:

أشار أحد الباحثين^(٦) أنه بالبحث والتنقيب ظهر له أول كتاب تحدث عن علوم القرآن مكتملة قبل السيوطي هو: كتاب عجائب علوم القرآن لابن الأنباري ت ٣٢٨هـ: وهو كتاب مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية. ومنه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ١٤٨، اطلعت على تلك المخطوطة بمكتبة بلدية الإسكندرية تحت رقم ٧٠٣١/٣٥٩٩ وقمت بتصويرها لما لها من أهمية في بحثي وكنت قد اطلعت بدار الكتب المصرية على مخطوطة تسمى فنون الأفنان في عجائب علوم

(١) علي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي ت ٤٣٠هـ: البرهان في علوم القرآن، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٥٩ تفسير.

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ: فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن، مخطوطة دار الكتب رقم ٢٢٢ تفسير تيمور.

(٣) للمؤلف نفسه: المجتبا من المجتبا. مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٥٣٩ معارف عامة.

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي ت ٦٤٣هـ: جمال القراء وكمال الإقراء، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٥٩ قراءات طلعت.

(٥) الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت ٧٩٤هـ: البرهان في علوم القرآن، طبع بيروت سنة ١٩٧٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٦) عبد الحلیم هاشم حسن الشریف: السيوطي وكتابه الإتقان ص ١٥٩، رسالة دكتوراه مخطوطة رقم ٢١١هـ بمكتبة كلية البنات جامعة عين شمس.

النص القرآني عند الزركشي بين الفهم والتذوق

القرآن لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ وقمت بتصويرها لما لها من أهمية أيضاً في بحثي ومما أذهلني حقاً أنه عندما بدأت بدراسة هاتين المخطوطتين اتضح الآتي:

أن مخطوطة عجائب علوم القرآن لابن الأنباري مطابقة تماماً لمخطوطة فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي، فالمقدمة واحدة والأبواب والفصول واحدة والكلام واحد. إلا أن مخطوطة فنون الأفنان بها نقص بعد ص ٦١ تم الإشارة في نهاية المخطوطة إلى الأبواب الناقصة منها، سوى ذلك لا يوجد أي خلاف بين النسختين، ومعنى ذلك أن المخطوطتين مخطوطة واحدة، وضعت كل مخطوطة منهما تحت اسم مختلف ولمؤلف مختلف.

ويدور التحقيق بعد ذلك عن اسم المخطوطة الحقيقي ومؤلفها، فهل اسم المخطوطة عجائب علوم القرآن، أم فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن؟ وهل هذه المخطوطة لابن الأنباري أم لابن الجوزي؟.

والقول الفصل في ذلك هو الرجوع إلى كتب التراجم للإطلاع على ترجمة ابن الأنباري، وابن الجوزي. ولقد رجعت في ذلك إلى:

الفهرست لابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥هـ فهو أقرب زمنياً لابن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ حيث أفرد ترجمة لابن الأنباري وأبيه^(١).

حيث يقول: "وله من الكتب كتاب المشكل في معاني القرآن لم يتمه كتاب الأضداد في النحو كتاب الزاهر كتاب أدب الكاتب لم يتمه كتاب الكافي في النحو كتاب المقصور والممدود كتاب الواضح في النحو كبير كتاب الموضح في النحو كتاب

(١) ابن النديم: الفهرست ص ١١٢

يقول: أبو محمد قاسم الأنباري وابنه أبو بكر محمد بن القاسم أخذ عن أبيه وعن أبي جعفر أحمد بن عبيد وأخذ النحو عن أبي العباس ثعلب وكان أفضل من أبيه وأعلم في نهاية الذكاء والفطنة وجودة القريحة.. وتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة في ذي الحجة، ودفن في داره.

الألفات كتاب اللامات كتاب بعض مسائل ابن شنبوذ كتاب غريب الحديث لم يتمه كتاب الهجاء كتاب المفضليات كتاب إيضاح الوقف والابتداء كتاب الهاءات في كتاب الله ﷻ كتاب السبع الطوال صنعتهما كتاب شعر الراعي صنعته كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان وعمل أبو بكر عدة دواوين من أشعار العرب الفحول منه شعر زهير والنابغة والجدى والأعشى وغير ذلك وله مجالسات لغة ونحو وأخبار وسمعتها منه جماعة ممن يأتيه من أهل العلم منهم أبو سعيد الديبلي وغيره (١).

من هذا يتضح أن ابن النديم لم يذكر أن لابن الأنباري كتاب بهذا الاسم.

ومعجم الأدباء لياقوت حيث ترجم لمحمد بن القاسم الأنباري (٢) ترجمة قيمة ذكر فيها مصنفاته ولم ترد تلك المخطوطة ضمن مصنفات ابن الأنباري حيث يقول ولأبي بكر بن الأنباري من التصانيف: غريب الحديث أملاه من حفظه، ومما أملاه أيضاً من مصنفاته: كتاب الهاءات نحو ألف ورقة، وشرح الكافي نحو ألف ورقة، وكتاب الأضداد وما ألف من الأضداد أكبر منه، وكتاب المذكر والمؤنث ما صنف أحد أتم منه ورسالة المشكل رد فيها على ابن قتيبة وأبي حاتم السجستاني، وكتاب المشكل في معاني القرآن بلغ فيه إلى طه وأملاه سنين كثيرة ولم يتمه، وشرح الجاهليات سبعمائة ورقة، وكتاب الوقف والابتداء، والكافي في النحو، والزاهر، وكتاب اللامات وشرح المفضليات، والأمالى وأدب الكاتب، والواضح في النحو، والموضح في النحو أيضاً وشرح شعر النابغة، وشرح شعر

(١) ابن النديم: المصنوع نفسه ص ١١٢.

(٢) راجع ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج ١٨، ص ٣٠٦ وما بعدها، طبع بمطبعة دار المأمون سنة ١٣٥٧هـ.

حيث يقول: محمد بن القاسم الأنباري، النحوي اللغوي الأديب كان من أعلم الناس بنحو الكوفيين وأكثرهم حفظاً للغة وكان صدوقاً زاهداً متواضعاً قاضلاً أديباً ثقة خيراً من أهل السنة حسن الطريقة أخذ عن أبي العباس ثعلب وخلق. وروى عن الدار قطنى وجماعة وكتب عنه وأبوه، وكان يملئ من ناحية من المسجد وأبوه من ناحية أخرى ومرض فعادته أصحابه فراوا من انزعاج والده أمرا عظيماً فطهبوا نفسه فقال: كيف لا أنزعج وهو يحفظ جميع ما ترون وأشار إلى خزنة مملوءة كتباً.

النص القرآني عند الزركشي بين الفهم والتذوق

الأعشى، وشرح شعر زهير وشعر الراعي والمقصود والممدود وكتاب الألفات، وكتاب الهجاء والمجالسات وكتاب مسائل ابن شنبوذ، وكتاب الرد على من خالف مصحف عثمان وغير ذلك^(١).

كما صنف أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد أو مدينة السلام لم يذكر في ترجمته لمحمد بن القاسم بن الأنباري أن له كتاباً بهذا الاسم بل اكتفى بقوله أن له كتاباً في علوم القرآن^(٢).

كما أن الزركلي في كتابه الأعلام لم يذكر أن لابن الأنباري كتاباً بهذا الاسم^(٣).

ورجعت إلى كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة باب العين فلم أجد من بين الكتب التي ذكرها أي إشارة إلى تلك المخطوطة^(٤).

هذا بالنسبة لمخطوطة عجائب علوم القرآن لابن الأنباري، أما عن ابن الجوزي فلقد رجعت إلى كشف الظنون باب الفاء فوجدت أنه قد أثبت كتاب فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧هـ^(٥)، كما أثبتته الزركلي في الأعلام عند ترجمته لابن الجوزي^(٦).

(١) راجع ياقوت الحموي: المصدر السابق ج ١٨، ص ٣١٢ وما بعدها.

(٢) راجع الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام طبع مطبعة السعادة، المجلد الثالث ص ١٨١ وما بعدها.

حيث يقول: محمد بن القاسم بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة أبو بكر بن الأنباري النحوي، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً ولد في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين حدث بذلك عن إسماعيل بن سعيد بن سويد عنه، وسمع إسماعيل بن إسحاق القاضي وأحمد بن الهيثم بن خالد اليزاز ومحمد بن يونس الكندي وأبا العباس ثعلبياً وغيره وصنف كتاباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل، والوقف والابتداء، والرد على من خالف مصحف العامة، روى عنه أبو عمرو بن حيوية وأبو الحسين الثوبان وأبو الحسن الدار قطنى، وأبو الفضل بن المأمون، وأحمد بن محمد بن الجراح ومحمد بن عبد الله بن أبي ميمى، وغيرهم..

(٣) راجع خير الدين الزركلي: الأعلام ج ٢ ص ٩٦٥ ترجمة ابن بشار الأنباري ت ٣٢٨هـ: "محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار قيل كان يحفظ ثلثمائة ألف شاهد في القرآن... من كتبه "الزاهر" في اللغة وشرح معلقة زهير "وإيضاح الوقف"... إلخ.

(٤) راجع حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج ٢ ص ١٠٦ وما بعدها طبع مطبعة العالم سنة ١٣١٠هـ.

(٥) راجع حاجي خليفة: نفسه ج ٢ ص ٢٠٤ وما بعدها.

(٦) راجع خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ج ١ ص ٤٩٩، ص ٥٠٠، حيث ترجم لابن الجوزي وذكر كتابه فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن ضمن مؤلفاته.

وعلى هذا أجمعت المصادر على عدم ذكر ذلك الكتاب لابن الأنباري، كما لم يرد في كشف الظنون لحاجي خليفة أو تاريخ الأدب العربي لبروكلمان كتاب بهذا الاسم^(١).
بينما ذكرت المصادر أن لابن الجوزي كتاباً باسم فنون الأفنان في علوم القرآن كما أشار الزركشى في كتابه البرهان في علوم القرآن بقوله: قال صاحب الفنون^(٢).
كما أن النسخة المصورة بمعهد المخطوطات رقم ١٤٨ المخطوطة بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ٧٠٣١/٣٥٩٩ ج فقدت منها الورقة الأولى وغير مدون عليها اسم المخطوطة أو اسم المؤلف ولا توجد عليها سوى عبارة "هذا كتاب عجائب القرآن"، بينما مخطوطة دار الكتب دون عليها اسم "فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي، كما أن مخطوطة الإسكندرية دون في نهايتها أنها حررت في آخر رجب عام ٦٥٢ هـ وهذا التاريخ بعد وفاة ابن الجوزي.

الأهم من ذلك أن الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ذكر في كتابه "تاريخ بغداد" في ترجمته لمحمد بن القاسم بن الأنباري أنه حدث بذلك عن إسماعيل بن سعيد بن سويد عنه^(٣)، أي عن ابن الأنباري. في حين أنه جاء في المخطوط ص ٤٣ في باب الوقف والابتداء قوله: "أخبرنا علي بن عبد الله الزاغوني قال أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال أخبرنا إسماعيل بن سعيد قال أخبرنا أبو بكر ابن الأنباري قال لا يتم الوقف على المضاف دون ما أضيف إليه"^(٤).

(١) راجع الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى: البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٣٧.
(٢) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٢، ص ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، دار المعارف بمصر، د. عبد الحليم النجار.
(٣) راجع الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد المجلد الثالث ص ١٨١ وما بعدها، مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩ هـ.
(٤) راجع المخطوطتين: عجائب علوم القرآن ص ٤٣ مخطوطة الإسكندرية رقم ٧٠٣١/٣٥٩٩ ج وفنون الأفنان ص ٨٤ دار الكتب ٢٢٢ تفسير: باب الوقف والابتداء.

وذلك الخبر قد نقله الرواة عن ابن الأنباري والذي نقل عن ابن الأنباري هو إسماعيل ابن سعيد والذي روى عن إسماعيل بن سعيد هو أبو جعفر بن المسلمة والذي روى عن أبي جعفر بن المسلمة هو علي بن عبد الله الزاغوني، وعلي بن عبد الله الزاغوني هو الذي أخبر المؤلف. فهل يعقل أن يكون مؤلف هذا المخطوط هو أبو بكر الأنباري ثم يذكر في مؤلفه هذا تلك السلسلة من الرواة التالية له والتي روت عنه هذا القول؟

ومن ناحية أخرى فقد ذكر الزركشي في كتابه البرهان: النوع الرابع في جمع الوجوه والنظائر من صنف فيه فقال: وجمع فيه من المتأخرين ابن الزاغوني وأبو الفرج بن الجوزي (١).

وقال عنه ابن العماد الحنبلي (٢) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن نصر الزاغوني الحنبلي البغدادي، منسوب إلى زاغوني من أعمال بغداد كان شيخ الحنابلة وأعظم أعيانهم، توفي سنة ٥٢٧هـ (٣).

وحيث إن ابن الجوزي حنبلي وتوفي سنة ٥٩٧هـ فواضح أنه تلميذ ابن الزاغوني وأنه أخذ الرواية عنه، ذكر ذلك ابن الجوزي نفسه. بالإضافة إلى أن أغلب الروايات المثبتة بالمخطوط سلسلة رواتها حنابلة، ففي الباب الأول من المخطوط قال المؤلف أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين، قال أخبرنا الحسن بن علي بن المذهب، قال أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، قال ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال حدثني أبي (٤).

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ١٠٢.
(٢) ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب ج ٤ ص ٨٠ مكتبة القدس سنة ١٣٥٠هـ.
(٣) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٦٣٧.
(٤) ابن الجوزي: مخطوطة فنون الألفان في عجائب علوم القرآن ص ٢.

فواضح من تلك الروايات أن رواتها من الحنابلة، بالإضافة إلى أن عبد الله بن أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٩٠هـ^(١).

وأحمد بن جعفر القطيعي توفي سنة ٣٦٨هـ^(٢)

ومعنى ذلك أن ثالث الرواة توفي بعد ابن الأنباري بأربعين عاماً.

وفى الباب الثاني من المخطوطة قال المؤلف: أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ قال ثنا عبد الملك بن أحمد السيوري قال ثنا أبو محمد الحسن بن محمد الخلال قال ثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم إلى آخر الرواية. ولقد ثبت أن أبا بكر أحمد بن إبراهيم توفي سنة ٣٧١هـ^(٣)، وأبو محمد الحسن بن محمد الخلال توفي سنة ٤٣٩هـ^(٤) ومعنى ذلك أن ثالث الرواة توفي بعد ابن الأنباري بمائة عام وعام واحد.

إلى غير ذلك مما يطول به البحث من رواية الحنابلة المثبتين بالمخطوط^(٥)، إلى جانب ذلك فقد ذكر المؤلف في باب في كتابة المصحف وهجائه في الفصل الخامس قوله: وذكر غير ابن الأنباري^(٦)، وواضح من هذا أن المؤلف يعتمد في مؤلفه على ابن الأنباري وغيره.

ومن تلك الأدلة التي سقناها والتي ثبتت باليقين وبالبحث ولطابفة نسخة المخطوطة الموجودة بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ٧٠٣١/٣٥٩٩ ج والمصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ١٤٨ لنسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٢

(١) بروكلمان: تاريخ الألب العربي ج ٣ ص ٣١٣.

(٢) فواد سزكين: تاريخ التراث العربي ج ١ ص ٣٢٥.

(٣) بروكلمان: تاريخ الألب العربي ج ٣ ص ٢١٠.

(٤) فواد سزكين: تاريخ التراث العربي ج ١ ص ٣٨٩.

(٥) ابن الجوزي: مخطوطة فنون الألفان ص ٢٠.

(٦) ابن الجوزي: راجع كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل: باب طبقات الحنابلة ص ٦١٠ وما بعدها.

تفسير، أقطع بأن مخطوطة الإسكندرية منسوبة خطأ لابن الأنباري، وهي في الحقيقة نسخة من مخطوطة فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي. والواضح أن الموثق للمخطوطات لما فقدت الورقة الأولى من المخطوط وأراد أن ينسب تلك المخطوطة التبس عليه الأمر بما وجده في المقدمة من قول المؤلف: رأيت أن تأليف كتاب في عجائب علوم القرآن أولى فسماه "عجائب علوم القرآن"، ثم إنه وجد في أحد أبواب المخطوط قوله: قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، فنسب المخطوط إليه دون أن يجهد نفسه بالبحث والتنقيب، وهو بهذا العمل قد ضلل كثيراً من الباحثين.

ثانياً: كتاب البرهان في علوم القرآن للمحفي ع ٤٢٠ هـ

أشار أحد الباحثين^(١): بأنه ظفر في دار الكتب المصرية بكتاب لعلى بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي توفي سنة ٤٢٠ هـ اسمه البرهان في علوم القرآن وهو يقع في ثلاثين مجلداً الموجود منه الآن خمسة عشر مجلداً، غير مرتبة ولا متعاقبة من نسخة مخطوطة... ولقد كنت مشغولاً أن أقرأ مقدمة كتابه هذا، لأخذ اعترافاً صريحاً منه بمحاولته إنشاء هذا العلم الوليد، ولكن ماذا أصنع والجزء الأول مفقود، غير أن اسم الكتاب يدلني على هذه المحاولة، وكذلك استعرضت بعض الأجزاء الموجودة فرأيت يعرض الآية الكريمة بترتيب المصحف ثم يتكلم عليها من علوم القرآن خاصاً كل نوع منها بعنوان فيسوق النظم الكريم تحت عنوان: القول في قوله ﷻ. وبعد أن يفرغ منه يضع هذا العنوان: "القول في الإعراب" ويتحدث عنها من الناحية النحوية واللغوية، ثم يتبع ذلك بهذا العنوان: "القول في المعنى والتفسير"، ويشرح الآية بالمأثور والمعقول، ثم ينتقل من الشرح إلى العنوان الآتي: "القول في الوقف والتمام" مبيناً تحته ما يجوز من الوقف وما لا

(١) الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٤، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

النص القرآني عند الزركشي بين الفهم والتذوق

يجوز، وقد يفرد القراءات بعنوان مستقل فيقول "القول في القراءة".. وما إلى ذلك عند المناسبة فأنت ترى أن هذا الكتاب أتى على علوم القرآن^(١)، ثم ينوه الباحث بذلك بقوله: وإذن نستطيع أن نتقدم بتاريخ هذا الفن نحو قرنين من الزمان أي إلى بداية القرن الخامس بدلاً من القرن السابع.

وعلى ما أشار به الباحث اطلعت على كتاب البرهان في علوم القرآن تأليف الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف بن سعيد الحوفي النحوي المتوفى سنة ٤٣٠هـ فوجدته كما أشار الباحث توجد منه أجزاء متفرقة مخطوطة رقم ٥٩ تفسير بدار الكتب المصرية مفقود منه الجزء الأول، وقد أتيح لي الإطلاع على الجزء الرابع من كتاب البرهان في علوم القرآن ووجدته قد دون بعنوان: "البرهان في علوم القرآن من الغريب والإعراب والأحكام والقراءات والتفسير والناسخ والمنسوخ، وعدد الآي والتنزيل والوقف والتمام والاشتقاق والتصريف".

وبناء على ذلك قلت لنفسي لقد وجدت ضالتي حيث إنه قد ألم بعلوم لا بأس بها ومن هذا المنطلق بدأت في الإطلاع على ما جاء بهذا المخطوط فلم أجد ما أنشده وإليك طريقة التأليف في هذا المخطوط الذي أقر باحثنا وله عذره، فالعنوان يوحي بأنه أتى على علوم القرآن.

بدأت بقراءة الصفحة التالية مباشرة للعنوان فوجدته قد كتب الآتي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قوله ﷺ: ﴿.... وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٢).

(١) الشيخ الزركشي: المرجع نفسه ج ١ ص ٣٤.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٥.

إذا ظرف مضافة إلى تولى سعى فى الأرض جواب إذا وهو العامل فيها وفى متعلقة بسعى، ليفسد نصب باللام وهى لام كى متعلقة أيضاً بسعى، فيها.. والهاء والألف راجعة إلى الأرض، ويهلك عطف على يفسده الحرث منصوب بيهلك، والنسل عطف على الحرث ثم يكمل بقوله: واللّه لا يحب الفساد ابتداءً وخبره والفساد نصب بيحب، وقرئ ويهلك أى وهو يهلك وقال أبو حاتم هو معطوف على سعى أن معناه يسعى، وروى عن ابن كثير ويهلك الحرث والنسل بفتح الياء فى يهلك، ويرفع الحرث والنسل بيهلك، والمشهور عنه مثل قراءة الناس. قد يقدم القول فى لام كى أنها لام الجر وأن أن معها مضمرة والتقدير لأن يفسد: وهى تظهر معها تارة وتحذف معها تارة إلا أن يكون قبلها ما.. ويستمر على هذا المنوال فى النحو والإعراب إلى ص ٣ حيث يقول القول فى المعنى والتفسير.

المعنى واللّه أعلم وإذا أدبر المناق من عندك منصرفاً عنك عمل فى الأرض بما حرم اللّه عليه وحاول فيها معصية اللّه وقطع الطريق وأفسد النسل والسعى... إلى أن يقول فى ص ٤: القول فى الوقف والتمام.

قال أبو حاتم الوقف ويهلك الحرث والنسل تمام وكذا واللّه لا يحب الفساد تمام ومن قرأ برفع الحرث والنسل كان الوقف ليفسد فيها ثم تبتدى ويهلك الحرث والنسل فتقف عليه ثم آخر الآية. ثم ينتقل إلى آية أخرى يبدأ بالنحو ثم فى المعنى والتفسير ثم الوقف والتمام هكذا فى بقية الجزء الرابع وما اطلعنا عليه من الأجزاء إلا من بعض إشارات متفرقة يقول فى القراءة.

فهل معنى هذا أنه أتى على علوم القرآن كما يقول الباحث؟ وهل يمكن أن نعد هذا الكتاب بالطريقة التى عرض بها المؤلف كتابه، كتاباً فى علوم القرآن أم كتاباً فى التفسير، أم كتاباً فى النحو؟

الذي أرجحه أن هذا الكتاب كتاب في التفسير على طريقة النحويين، وليس كتاباً في علوم القرآن كما زعم الباحث.

ولقد قصدت بتلك الإشارة التمهيد والتدقيق في التأليف حتى نقف على البداية الأولى في التأليف في علوم القرآن مجتمعة ومتى بدأ هذا التأليف؟ ومدى صحة ما أشار إليه الباحثون في ذلك المضمون، ثم نتساءل في أي قرن كانت بداية التأليف في علوم القرآن مجتمعة؟، لا نستطيع القطع بذلك لأسباب عدة من أهمها:

١- ظهور مؤلفات في كل نوع من علوم القرآن منها في أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغريب القرآن، وإعراب القرآن، ومبهمات القرآن، ومجاز القرآن، وفي القراءات وفي أقسام القرآن، وأمثال القرآن، وبدائع القرآن، ورسم القرآن.. وما إلى ذلك مما يملأ خزائن كاملة من أعظم المكتبات في العالم.

٢- إن أحداً قبل المائة الرابعة للهجرة لم يؤلف أو يحاول أن يؤلف في علوم القرآن لأن الدواعي لم تكن موفورة لديهم نحو هذا النوع من التأليف، وأنها كانت مجموعة في صدور المبرزين من العلماء، على الرغم من أنهم لم يدونوها في كتاب، ولم يفردها باسم^(١).

٣- مما يؤكد أن تلك العلوم كانت مجموعة في صدور المبرزين من العلماء ما دار في مجلس هارون الرشيد الذي امتحن فيه الشافعي، وكان ذلك سنة ١٨٤ هـ حين سأله الرشيد: كيف علمك يا شافعي بكتاب الله ﷻ؟ فقال الشافعي: عن أي كتاب من كتب الله تسألني يا أمير المؤمنين؟ فإن الله تعالى قد أنزل كتباً كثيرة، قال الرشيد: قد أحسنت، لكن إنما سألت عن كتاب الله المنزل على ابن عمي محمد ﷺ

(١) الشيخ الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٣.

فقال الشافعى: إن علوم القرآن كثيرة، فهل تسألنى عن محكمه ومشابهه أو عن تقديمه وتأخيريه، أو عن ناسخه ومنسوخة.. وصار يرد عليه من علوم القرآن (١).

٤- إذا اعتبرنا أن كتاب "نكت الانتصار لنقل القرآن" للباقلانى ت ٤٠٣ هـ كتاب فى علوم القرآن مجتمعة، وليس كتاباً من الكتب التى ظهرت مفردة فى علوم القرآن كما أشار إليه محققه، والتى سوف تعرض لما جاء فيه من علوم القرآن، أمكننا الرجوع بالتأليف فى علوم القرآن مجتمعة إلى بداية القرن الخامس الهجرى وليس القرن السادس الهجرى، وعلى ذلك تكون الكتب التى ألفت فى علوم القرآن مجتمعة قبل كتاب البرهان فى علوم القرآن للزركشى والتى تبينها من البحث هى:

• كتاب نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلانى ٤٠٣ هـ.

• كتاب فنون الأفتان فى عجائب علوم القرآن لابن الجوزى ت ٥٩٧ هـ.

• كتاب المجتبا من المجتبا لنفس المؤلف.

• كتاب جمال القراءة وكمال الإقراء للسخاوى ٦٤٣ هـ.

وبعد أن بينا ذلك حان لنا أن نبين ما جاء بتلك الكتب من علوم القرآن، وجهود أصحاب تلك الكتب، ثم نبين بعد ذلك ما اتفق فى مناقشته العلماء من تلك العلوم وما انفرد به كل منهم لنصل بذلك إلى جهود الزركشى فى كتابه البرهان وكيف فهم النص القرآنى وتذوقه، فلقد وضع بذور علوم القرآن للباقلانى فى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس، وريت فى القرنين السادس والسابع على يد ابن الجوزى والسخاوى، ثم ترعرعت وأينعت على يد الإمام الزركشى فى القرن الثامن الهجرى.

(١) الشيخ الزرقانى: المرجع نفسه ج ١ ص ٣٣، وراجع: الشافعى ومناقبه لأبى حاتم الرازى، ومقدمة محقق كتاب الأم الشافعى ج ١ ص ١٨.

ولنبداً بكتاب نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني ت ٤٠٣ هـ: هذا الكتاب أشار محققه أنه من الكتب المهمة في علوم القرآن وخاصة فيما يتصل بالمصاحف والقراءات ولغات القرآن، وما يتصل بنزوله وترتيب سوره وآياته، وأسلوبه، وادعاءات الفرق فيه (١). من هذا المنطلق اطلعت على الكتاب المحقق فوجدته قد أوضح من علوم القرآن الآتي:

١- (معرفة) تسمية القرآن والسورة والآية:

يبدأ الكتاب يبحث تسمية القرآن والسورة والآية:

أ - تسمية القرآن قرآناً: ذكر أنه من قرأت قراءة وقرآناً، يكون مصدراً واسماً، ثم يبين متى يكون مصدراً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾ (٢) ومتى يكون اسماً في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ...﴾ (٣) ثم يورد أسباباً أخرى في تسميته بهذا الاسم (٤)، أما تسميته فرقاناً: يقول ويسمى فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل (٥).

ب- تسمية السورة سورة: يذكر معاني تسمية السورة، فمرة يوردها أنها بمعنى الإبانة ومرة بمعنى قطعة وطائفة، وأخرى بالعلو والرفعة (٦).

ج - تسمية الآية آية: يذكر أن لها معاني عدة فعند أهل الاجتهاد موضع الفضل ثم إنها سميت بذلك لانفصالها من الآية الأخرى، ثم يبين معناها اللغوي على أنها علامة وذلك هو المقصود بآيات الرسل أي علامات لهم (٧).

(١) الإمام أبي بكر الباقلاني: المصدر السابق، ص ٤٦.

(٢) سورة القيامة: الآية ١٧.

(٣) سورة النحل: الآية ١.

(٤) الباقلاني: المصدر نفسه ص ٥٦، ٥٧.

(٥) الباقلاني: المصدر نفسه ص ٥٧.

(٦) الباقلاني: المصدر نفسه ص ٥٧.

(٧) الباقلاني: المصدر نفسه ص ٥٨.

٢- (معرفة) نقل القرآن ونظمه وقيام الحجة به :

يخصص الباب الثاني لذلك ويقصد بهذا الباب توثيق النص الذي بين أيدينا حيث يقول: جميع القرآن الذي أنزله الله تعالى وأمر بإثباته ولم ينسخه ولا رفع تلاوته هو الذي بين اللوحين، الذي حواه مصحف عثمان رضي الله عنه، لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه شيء. نقله الخلف عن السلف وهو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، دال على نبوته من ثلاثة أوجه أحدها ما فيه من عجيب النظم وبديع الوصف، والآخر ما تضمنه من الأخبار عن الغيوب، والثالث: ما تضمنه من قصص الأولين ^(١).

وهو يورد أقوال الملحدّين من أنه مدخول وغير ثابت ولا مضبوط. وما عزم الرافضة من أنه بُدِّلَ وَغُيِّرَ وأنه قد نقص فيه ولم يزد عليه وأن ترتبته فاسد، وما قاله المعتزلة من أن عثمان رضي الله عنه جمع الناس على بعض الأحرف ومنع من باقيها ^(٢)، وهو يبطل تلك الأقوال بأسباب قوية منها:

١- أن الصدر الأول ومن بعدهم يعظمونه ويحفظونه ويضبطونه وينقلونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحفظه ^(٣).

٢- أن ما جاء من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعظم أجر من حفظ القرآن وتعلمه وعلمه ^(٤).

٣- أن جميع السلف والخلف وهم خلق لا يجوز على مثلهم التراسل والتطابق ينقلون أن القرآن الذي في مصاحفنا هو جميع القرآن الذي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ^(٥).

(١) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٥٩.

(٢) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٥٩، ٦٠.

(٣) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٦٠.

(٤) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٦٠، ٦١.

(٥) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٦٢.

النص القرآني عند الزركشي بين الفهم والتذوق

وبعد هذا يذكر ما جاء من خلاف حول النص القرآني الذي هو مثبت في مصحف عثمان وادعاء بعض الناس تغيير الحجاج له، يؤكد في هذا الجانب حقيقة هامة هي: أنه ليس المعتبر في العلم بصحة النقل والقطع على ثبوته عدم المخالفة فيه وإنما المعتبر مجيئه عن قوم تثبت بهم الحجة وينقطع العذر. ثم يؤكد بعد أن يرد على تلك الاختلافات أنها يدل على صحة نقل القرآن أن ما يقوله يتفق مع ما قاله الشيعة من أن علياً عليه السلام كان يقرأه ويقرئه وأنه حكمه أيام التحكيم من فاتحته إلى خاتمته^(١).

ثم ينفي بعد ذلك ما أثاره أهل الزيغ من القول بأنه محفوظ عند الإمام القائم المعصوم المأمور بإظهاره حيث يقول: أول ما في هذا أنه لا أصل لوجود إمام معصوم^(٢).

ثم يبين من حفظه من الصحابة أيام الرسول ﷺ ومن جمعه وناقشهم في الأحاديث الأحادية المروية من أن حفظة القرآن ومن جمعه أربعة أو خمسة، ثم يورد مدى حفظ الصحابة له أمثال الذين كانوا يحفظونه وجمعونه ويضرب أمثلة بكثير من الصحابة^(٣)، إلى غير ذلك مما يؤكد بدليل قاطع على أن الرجل كان واعياً بتوثيق النص القرآني.

٣- (معرفة) القول في بسم الله الرحمن الرحيم:

ويخص به الباب الثالث من كتابه، وقد ذكر الخلافات التي دارت حول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وهل هي آية من كل سورة أم هي آية من سورة الحمد وهل هي أين كانت آية من كل سورة من جملة السور أو منفصلة عنها، وهل كان يجهر بها الرسول ﷺ أم لا؟^(٤) ثم ينبه على أن البسمة ليست آية من فاتحة الكتاب ولا من فاتحة

(١) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٦٤.

(٢) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٦٤.

(٣) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٦٤: ٧٠.

(٤) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٧١.

كل سورة، وإنما هي قرآن في سورة النمل خاصة^(١). ثم يبين بعد ذلك ما دار من خلاف حول ذلك ويأتي بالدليل على أنها ليست آية من سورة الحمد ولا من غيرها سوى سورة النمل، ما صح وثبت أن النبي ﷺ ترك الجهر بها، وما انفق القراء عليه أنها ليست بآية من غير الحمد وإن كانت مرسومة في افتتاحها، كما يبين دليل أنها آية في سورة النمل ما ذكر أن النبي ﷺ بين جميع القرآن بياناً واحداً ولم يبين بعضه بياناً ظاهراً وبعضه خفياً وهذا يدل على أن البسمة ليست آية من كل سورة ولا آية من الحمد، لأنها لو كانت آية كما ذكر لبين ذلك النبي ﷺ كما بين سائر ما أنزل عليه^(٢)، ثم يرد على أخبار الآحاد من مثل ما روى عن ابن عباس وهو ينكر ذلك حيث يقول والصحيح أن هذه الأخبار غير صحيحة عن ابن عباس قوله: كان المسلمون لا يعرفون انفصال السور حتى تنزل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(٣)، وكذلك ما روى عن أم سلمة من أن النبي ﷺ كان يعد البسمة آية فاصلة، فإنه خبر واحد، ولو كانت عنده عليه ﷺ آية لبين ذلك بياناً ظاهراً كما قدمناه^(٤) وهو يدل على أن من كتب فواتح السور لم يكتبوها برأيهم واجتهادهم وإنما اتبعوا ما سن وشرع النبي ﷺ، ثم يرد على أن ادعى أن القنوت من القرآن استناداً على ما ذكره في مصحف أبي بقوله: ليس القنوت من القرآن لأنه لو كان من القرآن لأثبتته الرسول ﷺ وأظهره كما يتضح لأهل البلاغة والفصاحة قصور نظم القنوت عن القرآن الكريم فلعل أبا فعل ذلك سهواً منه أو أنه دعاء لاستغناء عنه فأثبتته وهو سنة مؤكدة يجب المواظبة عليه^(٥).

(١) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٧١.

(٢) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٧٥.

(٣) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٧٦.

(٤) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٧٧.

(٥) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٨٠.

✽ ترتيب السور والآيات:

يناقش ترتيب السور والآيات هل كانت من فعل النبي ﷺ أو من اجتهاد الصحابة ويذكر اختلافات وجهات النظر فيما أثبتته الصحابة في مصاحفهم وهو يؤكد أن ترتيب السور في المصحف لم يكن بتوقيف من النبي ﷺ وأنه من اجتهاد الصحابة حيث ضموا السور إلى مثلها وما يقاربها^(١).

أما ترتيب الآية فهو بتوقيف من النبي ﷺ علمه إياه جبريل لما رواه ابن عباس وما جاء عن عثمان رضي الله عنه عنه قوله: كانت الآية والاثنتان إذا نزلت يقول رسول الله ﷺ: ضعوا هذه في سورة كذا^(٢).

✽ أول ما نزل وآخر ما نزل:

وقد أورد أيضاً اختلافهم حول أول ما نزل من القرآن، هل هو: يا أيها المدثر أم الفاتحة أم اقرأ، وهو يذكر أن سبب ذلك الخلاف والتنازع هو أن الأخبار المروية في هذا وإن لم يكن متضمنها من فروض الدين، فهي محتملة للتأويل لأن عائشة رضي الله عنها وأبا ميسرة وجابر لم يقولوا عن النبي ﷺ أنه قال إن أول ما نزل على كذا وكذا، ولم ينزل على شيء قبله ولا نحو ذلك من الكلام الذي لا يحتمل غير ما صرح به فيه^(٣).

كما ذكر اختلافهم في آخر ما نزل أيضاً ويورد ذلك أقوال ابن عباس والبراء وأبو صالح وسعيد بن حبير والسدي وابن المسيب وأورد في ذلك احتمالات منها: أن يكون كل قائل إنما حكى بأن آخر ما نزل ما ذكره لأنه آخر ما سمعه من النبي ﷺ، فظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل في الترتيب، ويحتمل أن يكون نزلت عليه آية بالليل ثم منع من أدائها

(١) البقلائي: المصدر نفسه ص ٨٢.

(٢) البقلائي: المصدر نفسه ص ٨٤.

(٣) البقلائي: المصدر نفسه ص ٨٨.

واشتغل إلى أن أصبح فأنزلت عليه آيات آخر لم ينزل عليه بعدها شيء فقليل له اتل عليهم هذه الآية الأخيرة، ثم اتل عليهم التي نزلت قبلها، ولا شيء يمنع من هذا^(١) غير ذلك مما أوضحه من المكي والمدني والقول في المعوذتين إلى آخر الباب.

٤- (معرفة) معنى السبعة الأحرف التي أنزل القرآن العزيز بها:

يقسم الباقلائي القول في ذلك إلى أربعة أوجه، حيث يذكر أن ثلاثة منها مروية عن

النبي ﷺ، والرابع مروى عن التابعين:

الأول: ما قاله النبي ﷺ من: أن الكتاب الأول أنزل من باب واحد وكان على حرف واحد وأنزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، نهى وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال. فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانها ما نهيتم عنه، واعتبروا بحكمة، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنة به كل من عند ربنا، يؤكد أن هذه السبعة ليست هي السبعة التي أجاز لهم القراءة على اختلافها^(٢).

الثاني: ما رواه أبي عن النبي ﷺ أنه قال: يا أباي أقرأت القرآن، فقل لي: على حرف أو حرفين، فقال الملك الذي معي قل على حرفين إلى أن بلغ سبعة وليس منها إلا شاف كاف^(٣).

يؤكد الباقلائي أن هذه السبعة غير السبعة التي هي وجوه وقراءات وغير السبعة التي هي حلال وحرام وأمر ونهى، وإنما هي السبعة أوجه من أسماء الله لها سبعة معان وسبع عبارات مختلفة^(٤).

(١) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٩٠.

(٢) الباقلائي: المصدر نفسه ص ١١٥.

(٣) الباقلائي: المصدر نفسه ص ١١٥، ١١٦.

(٤) الباقلائي: المصدر نفسه ص ١١٦.

الثالث: وهو المروى عن التابعين: من أن عمرو بن العاص قرأ آية فسمع رجلاً يقرأها خلافاً لقراءته فقال: من أقرأك فقال: رسول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ وقرأ عليه كلاهما، فقال: أصبتما، إن القرآن نزل على سبعة أحرف.

الرابع: وهو الوجه الذي صوب فيه النبي ﷺ القراءة جميعها فهي التي راجع فيها قراءته وسهل على أمته لعلمه تعالى بما هم عليه من الاختلاف لأنه لم ينزل على سبعة فقط، وذلك ظاهر ولا سبعة كلمات، لأنه أكثر من ذلك فثبت أنه على سبعة أوجه وسبع قراءات مختلفات جائز أن يقرأ بها على خلافها، ويدل على ذلك قول الناس: هذا حرف أبي، وحرف ابن مسعود. وهو يرد على اختلافات الناس في تأويل ذلك.

٥- (معرفة) تفسير القراءات التي قيل أنها معنية بقول النبي ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف:

يبين الباقلاني أن القراءات السبعة معنية بقول النبي ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف، وأن هذه السبعة "أوجه وقراءات" وهو لا ينكر أن يكون النبي ﷺ بينها لحملة القرآن، ومن هذه الوجوه في القراءة:

- ١- التقديم والتأخير نحو قوله ﷺ: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ ^(١). والقراءة الأخرى في هذه الآية: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾
- ٢- أن يكون اختلافاً في القراءتين بالزيادة والنقصان نحو "وما عملت" و﴿... وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ...﴾ ^(٢).
- ٣- أن يكون اختلاف يزيل صورة اللفظ ومعناه نحو: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾ ^(٣)

(١) سورة ق آية رقم ١٩.
(٢) سورة يس آية رقم ٣٥.
(٣) سورة الواقعة آية رقم ٢٩.

﴿وَوَطَّلِحْ مَنضُودٌ﴾

٤- أن يكون أختلاف في الكلمة يغير معناها ولفظها من السماع ولا يغير صورتها في الكتاب نحو: ننشرها، ننشرها.

٥- اختلاف في بناء الكلمة وصورتها بما لا يزيلها ولا يغيرها عن معناها نحو: وهل نجازي إلا الكفور" ويجازي.

٦- أن تتغير الصورة ولا يتغير المعنى نحو العهن والصوف.

٧- اختلاف حركات الكلمة وبنائها بما يغير معناها ويزيلها عن صورتها نحو: باعدٌ بين أسفارنا و"باعدٌ"

إلى غير ذلك مما ذكره من اختلاف في تأويل السبعة^(١).

❁ ثم يبين في أبواب مستقلة:

أ. الحروف التي اختلف فيها أهل الشام، وأهل المدينة، وأهل العراق:

يذكر ما اختلف فيه أهل المدينة وأهل العراق من الحروف وأهل العراق والشام وأهل المدينة والشام ثم يقول: وهذا الذي ذكرناه هو قدر اختلاف مصاحف الشام والحجاز وهذه القراءات كلها صحيحة، وكذلك سبيل المختلف من قراءات أهل الأنصار نحو قوله: "بكلمات ربها وكتابه" وكتبه، والصابئين والصابئون، وما إلى ذلك كل هذا صحيح أنزل القرآن به وما جاء شاذاً لا يتضمنه مصحف الجماعة فإنه لا تجوز القراءة به^(٢).

ب. الكلام في حكم قراءة الأئمة السبعة ووجوه اختلافهم:

ذكر ذلك في باب مستقل وإن لم يوضح فيه ما قصد بقدر ما ناقش فيه من خالفوا عثمان في جمعه للقرآن على حرف واحد مع عدم مخالفته للجماعة^(٣).

(١) الباقلائي: المصدر السابق ص ١٢٠.

(٢) الباقلائي: المصدر السابق ص ٣٨٩.

(٣) الباقلائي: المصدر السابق ص ٤٠٠.

ج- ذكر اختلاف القراء السبعة وهل خالف جميعهم أو بعضهم حرف الجماعة أم لا وما وجه اختلاف المصاحف^(١).

ذكر الباقلائي أنه لم يختلف القراء السبعة في أن القراءات التي صار بعضهم إليها قرآن منزل من عند الله تعالى وأنها تنقل خلفاً من سلف وأنهم أخذوا من طريق الرواية^(٢). وأنه أخطأ من زعم أن اختلاف القراء إنما صاروا إليه من جهة الاجتهاد وإعمال الفكر في حمل الكلام على ما هو أليق بالقصة^(٣)، ويؤكد ذلك بما جاء من أقوال العلماء في ذلك وكيف قرأ كل واحد منهم على الآخر، ثم يبين حال القراء وعم قرأ فيذكر أن أبا عمرو بن العلاء قد قرأ على ابن كثير وأمثاله وعلى مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وهؤلاء كلهم قرءوا على ابن عباس^(٤)، وقرأ نافع على أبي هريرة، وقرأ ابن عامر على المغيرة المخزومي، وقرأ المغيرة على عثمان^(٥)، وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن السلمى وقرأ السلمى على جماعة من الصحابة بقراءة الجماعة ومصحف عثمان^(٦)، ثم يبين قراءات القراء وحالهم في قراءتهم وهكذا إلى نهاية هذا الباب^(٧).

د - إبطال القراءة على المعنى دون اللفظ:

يبين الباقلائي أوجه إبطال القراءة بالمعنى دون اللفظ، راداً بذلك على من ادعى على أبي بكر أنه قد علم أن النبي ﷺ كان يسمح لمن قرأ عليه أن يقرأ الكلمة على وجه غير الوجه المعروف إذا كان المعنى واحداً^(٨)، وهو يؤكد أنه لو كان القرآن في زمن النبي ﷺ

(١) الباقلائي: المصدر السابق ص ٤١٥.

(٢) الباقلائي: المصدر السابق ص ٤١٥.

(٣) الباقلائي: المصدر السابق ص ٤١٥.

(٤) الباقلائي: المصدر السابق ص ٤١٦.

(٥) الباقلائي: المصدر السابق ص ٤١٧.

(٦) الباقلائي: المصدر السابق ص ٤١٧.

(٧) الباقلائي: المصدر السابق ص ٤١٧.

(٨) الباقلائي: المصدر السابق ص ٢٢١.

يقرأ على المعنى وتُبدلُ اللفظة بما يقام مقامها لم يخرج عمرو هشام بن حكيم وأبى مع الذين سمعوهم يقرأون خلاف قراءتهم إلى ما خرجوا إليه، ولم يكن في ذلك النزاع والخصام ولم يجز أن يتداخل أبى من الشك مثل الذى كان يعتريه فى الجاهلية حتى يحتاج النبى ﷺ تثبيته وإزالة الشك عنه، فدل على تضييق الأمر عندهم وحصره على لغات بأعينها، ما أخبره الرسول ﷺ بأنه كذلك أنزل على (١)، ما ذكره من الأوجه التى تؤيد إبطال القراءة بالمعنى دون اللفظ كما دلل على إبطال جواز القراءة بالفارسية (٢)، أو بغير العربية.

٦- (معرفة) أن القرآن معجزة النبى ﷺ:

يدلل على أن القرآن معجز بقوله: معنى وصف القرآن وغيره من آيات الرسل بأنه معجز أنه مما لا يقدر الخلق عليه، وإن لم يكونوا عاجزين عنه على الحقيقة، وإنما سمي معجزاً على التشبيه بما يعجز عنه من الأمور التى يقدر عليها ويعجز عنها (٣).

ثم يذكر أوجه إعجازه حيث يقول: إن القرآن معجزة للنبى ﷺ من ثلاثة أوجه:

- ١- ما فيهم أنباء الأولين وقصصهم، مع العلم بأن النبى ﷺ لم يكن يتلو من قبله كتاباً ولم يخطه بيمينه، قال تعالى: ﴿... تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ...﴾ (٤).
- ٢- ما فيهم الأخبار عن الغيوب، قال تعالى: ﴿... لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (٥) فكان كما أخبر (٦).

(١) البقلائي: المصدر السابق ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) راجع البقلائي: المصدر السابق ص ٣٣٧ وما بعدها.

(٣) البقلائي: المصدر نفسه ص ٢٤٢.

(٤) سورة هود الآية ٤٩.

(٥) سورة الفتح آية ٢٧.

(٦) البقلائي: المصدر نفسه ص ٢٤٤.

٣- نظمه وبلاغته، وقد اتفق الكل من أهل ملتنا وغيره، ونقلوا نقلاً يوجب العلم أن النبي ﷺ: كان يتحدى به العرب في أيام الموسم وغيرهم مع ما هم عليه من الفصاحة التي لا تبلغ، وشدة الأنفة والحمية فلم يقدرُوا على الإتيان بسورة من مثله نحو: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾^(١)، ثم يرد على ما خالف ذلك^(٢).

❖ ثم يبين في أبواب مستقلة:

أ- صحة مفارقة القرآن لسائر كلام العرب: ما بينه من الأسباب التي تدل على صحة مفارقة القرآن لسائر كلام العرب حيث يقول فلو كان من كلامهم لم يجز أن يدهشوا منه ويختلفوا في سببه فيقولوا مرة سحراً ومرة شعراً ومرة أساطير الأولين، بل كان الواجب أن يعرفوا من أي قبيل هو إذ اللسان لسانهم وهذا دليل يشترك في العلم بصحته الخاصة والعامة^(٣).

ب- وقد قام بالرد على من زعم أن القرآن شعر^(٤)، كما أورد كلام المعتزلة القائلين بأن العرب صرفوا عن معارضته مع قدرتهم على الإتيان بمثله^(٥).

٧- (معرفة) الكتابة في القرآن:

يرد على ادعاء من قال بتغيير المصحف على أنهم وجدوا فيه الكتابة ولا معنى لها واستدلوا على أن من يستعملها يحتاج إلى التورية والمداجاة والله يتعالى عن ذلك فيقول: ليس الأمر في الكناية على ما ذكرتم، لأن العرب تستعملها على غير وجه التورية والمداجاة، بل لأن التعريض عندها أبلغ من التصريح. ومن أمثالهم: رب إشارة أفصح من

(١) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٢٤٥ (سورة الكوثر: ١) .

(٢) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٢٤٦ وما بعدها.

(٣) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٢٤٩ .

(٤) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٢٧٢ .

(٥) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٢٨٦ .

عبارة. وصاحب التعريض أولى أن ينسب إلى الفصاحة. وقد أباح الله تعالى التعريض فى خطبة النساء. وقد ورد التعريض فى القرآن فى مواضع منها: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴿٢﴾﴾ (١) فكنى عن ذكر الملكين المتسورين وكان جائزاً أن يسميهما ولم يترك ذلك لمداجاة أو خوف (٢)، وغير ذلك ما استدل به الباقلانى من آيات القرآن.

٨- (معرفة) البلاغة فى القرآن:

يذكر الباقلانى كثيراً من تعريفات البلاغة التى عرفها الناس بها فقد ذكروا أن منها: الإيجاز فى غير عجز والإطناب فى غير خطل وأن تكون صدور الكلام تدل على إعجازه. إلى غير ذلك من التعريفات التى ذكروها، وهى عند الباقلانى: التعبير عن المعنى بما هو طبقه ووقمه من غير أن يفضل عنه ولا يقصر دونه ولا يكون اللفظ مشتركاً بينهما ولا خفياً بل معرى من فضول الكلام ومشاركاً بالألفاظ مع تصحيح أقسام الخطاب واختيار ما يحلو من الألفاظ فى النفوس والأسماع، وأن يكون إذا طال غير مجانيب لما عقد عليه أول كلامه ولا مباين له وأن يكون إفهاماً لكل قوم بقدر طاقتهم، وبياناً بقدر منازلهم طال الكلام أو قصر وقل أو أكثر (٣).

وهو يضع المتكلم البليغ فى ثلاثة منازل أن يكون لفظه رشيقاً عذياً، وفخماً سهلاً ومعناه مكشوفاً (٤)، ثم يبين أفضل ما استعملت فيه البلاغة وذلك تقرير حجة الله تعالى فى عقول بعض المكلفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين المعانى فى قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة فى الأسماع القابلة رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن

(١) الباقلانى: المصدر نفسه ص ١٢٤ وما بعدها (سورة ص: الآيات ٢١ : ٢٢).

(٢) الباقلانى: المصدر نفسه ص ٢٥١.

(٣) الباقلانى: المصدر نفسه ص ٢٥١.

(٤) الباقلانى: المصدر نفسه ص ٢٥٢.

قلوبهم بالوعظة الحسنة على الكتاب والسنة، فصاحب هذا المقام وهذه البلاغة قد أوتي الحكمة وفصل الخطاب ووعده بجزيل الثواب^(١)، ثم يبين صفات البلاغة وقد فضل البليغ عند منازعة الأقران، ومناقلة الأكفاء ومباحثة أهل الخصام^(٢)

٩- (معرفة) البيان في القرآن:

وقد افرد لذلك باباً متسعاً فرق فيه بين البيان والبلاغة بقوله: البيان أعم من البلاغة وهو عندنا الدلالة على ما لا يعلم بالحس والصورة أي جنس كان، نطقاً أو إشارة أو غير ذلك وإن كان أكثر ما ينطلق اسم البيان على اللفظ دون غيره. والبيان مأخوذ من الظهور والانكشاف، أو من التفريق^(٣).

وهو يفرق بين حكم المعاني المدلول عليها وبين حكم الدلالات المنصوية عليها فالمعاني متيسرة مبسوسة إلى غير غاية ولا نهاية وأسمائها محصورة إلى غاية ونهاية والدلالة عليها معلومة فهي: إما خط أو لفظ أو إشارة أو عقد أو نصبة^(٤).

ثم يبين وجود ذلك في القرآن كثيراً^(٥).

ثم يذكر أنه ورد في القرآن من البيان منه كثير منه: الحذف والاستعارة والتجانس، إلى غير ذلك مما ذكره في هذا الباب^(٦)

(١) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٢٥٤.

(٣) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٢٥٦.

(٤) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٢٥٦.

(٥) راجع الباقلائي: المصدر نفسه ص ٢٥٧، حيث يقول:

"وشرط البيان الذي هو النطق أكثر من أن يحاط به، وهو في كتاب الله تعالى وفي حديث الرسول ﷺ وكلام العرب، وقالوا: ليس يعني مرؤه ولا لمنقوص البيان بها. فدلالة الخط ظاهرة مشهورة، قال الله تعالى: (أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) (سورة القلم: ٢: ٣).

وأما دلالة العقد والحساب فقد عظم الله تعالى شأنها حيث قال عز وجل: (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) وقال:

(لَتَعْلَمُوا عَدَدَ النِّبِينِ وَالْحِسَابِ). وأما النصبة فهي أدلة العقول التي ليست بخط ولا نطق ولا إشارة ولا عقد".

(٦) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٢٦٠، ٢٧١.

١٠- (معرفة) أى لغة نزل بها القرآن العزيز:

يبين أن القرآن نزل بلغة العرب كلهم ويستدل بما جاء من القرآن وبما جاء من قول النبي ﷺ، ثم يرد على أقوال الصحابة في هذا الشأن مؤكداً أن القرآن نزل بلغة العرب كلهم^(١).

١١- (معرفة) أول من جعل القرآن بين اللوحين والدليل على صوابه:

يبين أن أبا بكر هو أول من جعل القرآن بين اللوحين، لأنه ﷺ كان أجل قدراً وأحسن رأياً من أن يهمل ذلك أو يفسر فيه، وهو يؤكد ذلك بذكر ما روى عن زيد بن ثابت: الحديث المطول في أمر جمع القرآن عندما استحر القتل في القراء في حرب اليمامة^(٢).

ثم يبين ما جاء من القول في كيفية جمع أبي بكر المصحف وفي أى شيء كتبه^(٣) ثم يبين أن ما فعله أبو بكر صواب^(٤)، كما يبين كيف جمع عثمان المصحف والسبب في ذلك^(٥)، ثم يذكر ما قيل عن جواز عثمان زيد دون بن مسعود^(٦) واختياره حرف زيد دون غيره^(٧)، وهو يفرد في ذلك القول مدلاً على ما يقول بما روى في ذلك من الآثار والأخبار.

١٢- (معرفة) تعلق الرافضة بما روى من الآي المنسوخة:

يبين ما تعلق به الرافضة بما روى من أخبار الأحاد التي يقول عنها أنها أخبار آحاد لا سبيل إلى العلم بثبوتها ولو ثبتت لكان ذلك قرآناً نسخ وأزيل، وخطر علينا إثباته^(٨).

(١) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٣٨٥: ٣٨٨

(٢) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٣١٧

(٣) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٣٥٣

(٤) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٣٥٥

(٥) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٣٥٨

(٦) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٣٦٧

(٧) الباقلائي: المصدر نفسه ص ٣٧٥

(٨) الباقلائي: المصدر نفسه ص ١٠٣

١٣- الكلام فى معنى التكرار وفوائده:

يبين الباقلانى أن من عادة العرب أن تكرر ليفهم عنها وتبلغ إلى مرادها، فمن ذلك

قوله: عَجَلْ عَجَلْ، وقول الشاعر:

هلا سألت جموع كنف — عدة يوم ولو أين أيننا

فعلى هذا الوجه جاء قول الله تعالى: ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ

فَأُولَىٰ ﴿١﴾، ثم يورد وجوهاً أخرى لمعرفة معنى التكرار وفوائده، ثم يبين ما ادعته الملاحظة من أن فى القرآن تناقضاً وإحالة وهو يرد على كل ذلك بالدليل والبرهان.

هكذا اتضح لنا ما جاء من علوم القرآن على يد الباقلانى فى كتابه نكت الانتصار

لنقل القرآن، فهو حقاً من الكتب الهامة فى علوم القرآن مجتمعة وإن كان يؤخذ عليه التوسع فى القضايا التى يعرضها والتطويل فى الاحتجاج والاستدلال بالبراهين العقلية والنقلية، وقد أخذ عليه بعض علماء المسلمين إسرافه فى هذا (٢).

ثم إذا انتقلنا من أوائل القرن الخامس إلى القرن السادس الهجرى نلتقى بعالم

جليل هو أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى ت ٥٩٧هـ فى كتابه فنون الأفتان فى عجائب علوم القرآن وكتابه المجتبا فقد ربت علوم القرآن عنده.

ثانياً: فنون الأفتان فى عجائب علوم القرآن (٣) لابن الجوزى ت ٥٩٧هـ

عرض فى هذه المخطوطة من علوم القرآن الكثير التى تناولها بالعرض لنبين تطور

علوم القرآن من خلال كتب علوم القرآن المتخصصة ولتتضح لنا جهود ابن الجوزى وها هى ذى العلوم التى جمعتها المخطوطة:

(١) سورة القيامة آية ٣٤، ٣٥.

(٢) الباقلانى: المصدر نفسه ص ٥.

(٣) مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٢ تفسير.

١- (معرفة) فضائل القرآن:

خصص له الباب الأول من كتابه حيث ذكر فيه الأخبار التي رويت في ذلك لبيان فضل القرآن وفضائله من ذلك قوله: أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين قال أخبرنا الحسن بن علي بن المذهب قال أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي قال ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال ثنا حجاج قال ثنا شعبة قال سمعت علقمة بن مرشد يحدث عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ أنه قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه^(١)، إلى غير ذلك من الأحاديث التي رويت وأثبتها ابن الجوزي.

٢- (معرفة) أن القرآن غير مخلوق:

خص به الباب الثاني من كتابه واعتمد على الأحاديث التي رويت عن رسول الله ﷺ عن القرآن فقال كلام الله غير مخلوق^(٢)، ويورد إليه من أقوال الصحابة في ذلك وما انتهى من أقوال أهل البلدان في أن القرآن غير مخلوق.

٣- (معرفة) نزول القرآن على سبعة أحرف:

بين ابن الجوزي أقوال العلماء حول السبعة الأحرف التي نزل بها القرآن والتي نص عليها حديث رسول الله ﷺ، وقد أفرد باباً مستقلاً لذلك^(٣).

وذكر أن أبي حاتم بن حسان الحافظ قد ذكر أن العلماء اختلفوا في معناه على خمسة وثلاثين قولاً، وذكر أن من هذه الأقوال ما لا يصلح الاعتماد عليه في توجيه الحديث ويختار من تلك الأقوال أصلحها وأصوبها، فقد اختار منها أربعة عشر

(١) ابن الجوزي: فنون الألفان ص ٢.

(٢) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٣.

(٣) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ١١ وما بعدها.

قولاً^(١) ويرجع منها القول الرابع عشر حيث يقول: إن المراد بالحديث أنزل القرآن على سبع لغات وهذا هو القول الصحيح وما قبله لا يثبت عند السبيل وهذا اختيار ثعلب وابن

(١) راجع ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ١٢ وملخص الأقوال:

القول الأول: ما روى عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال لابن مسعود أن الكتب كانت تنزل من باب واحد على حرف واحد وأن هذا القرآن نزل على سبعة أبواب على سبعة أحرف: حلال وحرام وأمر وزجر وضرب وأمثال ومحكم ومتشابه فأحل حلاله وحرم حرامه وأفعل ما أمر الله وأنته عن ما نهى الله عنه واعتبر بأمثاله وأعمل بمحكمه وأمن بمتشابهة وقل كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب هو معنى هذا الحديث أن الكتب كانت تنزل من باب واحد أي أنها كانت تحتوى على المواعظ فقط ونزل القرآن مشتتاً على الوجوه المذكورة.

القول الثاني: أن الحروف السبعة حلال وحرام وأمر ونهى وخبر ما كان وخبر ما هو كائن وأمثال.

القول الثالث: أنها حلال وحرام ووعد ووعيد ومواعظ وأمثال واحتجاج.

القول الرابع: أنها محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص.

القول الخامس: أنها مقدم ومؤخر وفرائض وحدود ومواعظ ومتشابه وأمثال.

القول السادس: أنها لفظة خاص يراد بها الخاص، ولفظة عام يراد بها العام، ولفظة عام يراد بها الخاص، ولفظة خاص يراد بها العام، ولفظة يستغنى بتزليلها عن تأويلها، ولفظة لا يعلم فقها إلا العلماء ولفظة لا يعلم معناه إلا الراسخون في العلم.

القول السابع: أنه أية في إثبات الصانع وأية في إثبات الإسلام وأية في إبطال الكفر.

القول الثامن: أنها الإيمان بالله والإيمان بمحمد والإيمان بالقرآن والإيمان بالرسول والإيمان بالكتب والإيمان بالملائكة والإيمان بالبعث.

القول التاسع: أنها تدل في اللغة مثل الهمزة والفتح والكسر والإمالة والتفخيم والمد والقصر.

القول العاشر: أنها الألفاظ المختلفة بمعنى واحد مثل قولهم ألم تعال أقبلها هنا إلى عندي إعطف على.

القول الحادي عشر: أن أحد الوجوه الجمع والتوحيد وكقولهم بشهادتهم وبشهاداتهم والثاني: التذكير والتأنيث كقولهم لحضكم وليحضكم، والثالث: الإعراب كقوله ذو العرش المجيد وفي لوح محفوظ ومحفوظ، والرابع: التصريف كقوله يعكفون ويعكفون، والخامس: الأدوات كقوله لكن الشياطين كفروا ولكن بالتخفيف ومثله ولكن البر ولكن الله رمى، والسادس: اختلاف اللغات في المد والقصر والهمز وتركه والإمالة والتفخيم والإدغام.

القول الثاني عشر: أحدهما: اختلاف الإعراب في الكلمة بحركة لا تزليها عن صورتها في الكتاب كقوله "... هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ..." (هود: ٧٨) ترفع الرءاء وتنصبها ومثله: "وَهَلْ حِجْرِي إِلَّا الْكَافُورُ" (سبا: ١٧)، بضم بليجازي

وبإثبات نون. والوجه الثاني: اختلاف في إعراب الكلمة على نوجه يتغير به حركاتها ويختلف به معناها ولا يزليها في الكتاب عن صورتها كقوله تعالى: "إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ" (النور: ١٥) وقرئ يلقونه وكذلك

"وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ" (يوسف: ٤٥) قرئ بعد أمه والثالث: اختلاف في تغييره حروف الكلمة بما تغير معناها دون

صورتها وإعرابها كقوله "كَيْفَ نُنشِرُهَا" (البقرة: ٢٥٩)، قرئ نشزها بالزاي، وكذلك "إِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ" (سبا: ٢٣) قرئ فرغ بالغيين، والرابع: اختلاف في صورة الكلمة في الكتاب دون المعنى كقوله: "إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً" (يس: ٢٩) وقرئ إلا زقية، والخامس: الاختلاف بتقديم الكلمة وتأخيرها كقوله:

"وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ" (ق: ١٩) قرئت وجاءت سكرة الحق بالموت، والسادس: اختلاف صورة

الكلمة ومعناها كقوله "وَطَلَّحَ مِضْضُودٍ"، قرئ وطلع، والسابع: الزيادة والنقصان كقوله "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

الْحَمِيدُ" وقرئ "وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" (لقمان: ٢٦).

القول الثالث عشر: إن أحد الوجوه التذكير والتأنيث كقوله ولا تقبل منها شفاعة، ولا يقبل، والثاني الجمع والتوحيد

كقوله: وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكتابه، الثالث: الخفض والرفع، وغير ذلك من الأقوال التي لم يعدد بها ابن

الجوزي، راجعه من ص ١١ إلى ص ١٧.

جريس، إلا أن قوماً قالوا هي سبع لغات متفرقة لجميع العرب في القرآن وكل حرف مها لقبيلة مشهورة وقوماً قالوا أربع لغات لهوازن وثلاثة لقريش وقوماً قالوا لغة قريش ولغة لليمن ولغة لتميم ولغة لجرهم ولغة لهوازن، ولغة لقضاة، ولغة لتهم ولغة لطي، وقال قوم إنما هي بلغة الكعبين كعب بن عمرو وكعب بن لؤي ولهما سبع لغات ذكر هذا التفصيل أبو حاتم بن حبان الحافظ وغيره، والذي يراه ابن الجوزي أن التعيين من اللغات على شيء بعينه لا يصح سنده ولا يثبت عند جهابذة النقل طريقة، بل الذي يراه أن القرآن نزل على سبع لغات فصيحة من لغات العرب مستنداً في ذلك على ما جاء من أقوال مشايخه حيث كان بعضهم يقول إن القرآن كله بلغة قريش في الأصل وقد استدل أبو جعفر الطبري على أن المراد سبع لغات بأن النبي ﷺ صوب جميع القراءة ولو كانت قراءتهم تختلف في تحليل وتحريم لما صوب ذلك.

٤- (معرفة) اللغات في القرآن:

ويقصد بذلك اللغات من غير لغات العرب، فقد ذكر ابن الجوزي أقوال علي بن أبي طالب وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة ممن قالوا أن في القرآن من كل لسان. ثم يذكر أقوال مخالفيهم ويحتجون بقوله تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١) وهذا مذهب أبو عبيدة، ثم يذكر قول أبو عبيد الذي يوفق بين القولين حيث يقول: إن في القرآن حروفاً بغير لسان العرب في الأصل ثم لفظت بها العرب فعربتها فصارت عربية بتعريبها إياها فهي عربية في هذه الحال أعجمية في الأصل^(٢)، ثم يذكر أن جميع أسماء الأنبياء أعجمية نحو إبراهيم وإسماعيل وهكذا^(٣).

(١) سورة الزخرف: آية ٣.

(٢) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٨٠.

(٣) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٨٠ وما بعدها.

ثم يذكر ما جاء في القرآن من لغات الأمم الأخرى^(١)، وابن الجوزي لم يقطع في هذا القول برأى سوى أنه جمع أقوال الناس ما بين مؤيد ومخالف.

٥- (معرفة) المكي والمدني:

يذكر ما قاله ابن شطا أن جملة ما نزل في المدينة تسع وعشرون سورة في النصف الأول من القرآن خمس سور متواليات البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وقبلهم الفاتحة ثم الأنفال والتوبة ثم الرعد ثم يذكر ما جاء في النصف الثاني من السور المدنية ثم يحدد لن باقي سور القرآن مكية وهو لا يورد إلا عبارة قد وقع في ذلك خلاف كثير ذكرتها كتب التفسير^(٢).

٦- (معرفة) الوقف والابتداء:

وكعادة ابن الجوزي يعرض لنا أقوال من سبقوه في التأليف حيث يقول: أخبرنا علي ابن عبد الله الزغواني قال ثنا أبو جعفر ابن سلمة قال ثنا إسماعيل ابن سعيد قال أخبرنا أبو بكر الأنباري قال لا يتم الوقف على المضاف دون ما أضيف إليه^(٣)، ولا على المنعوت دون النعت ولا على الرفع دون المرفوع ولا على المرفوع دون الراجع، ولا على الناصب دون المنصوب ولا على المنصوب دون الناصب، إلى آخر ما ذكره، ثم يورد أمثلة على ذلك من القرآن الكريم ثم يقسم الوقف إلى ثلاثة أقسام:

- ١- قسم تام: وهو الذي يحسن الوقوف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون ما بعده متعلقاً به كقوله أولئك هم المفلحون.
- ٢- قسم حسن: وهو ليس بتام وهو الذي يحسن الوقوف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كقوله الحمد لله وفتح الابتداء بقوله رب العالمين.
- ٣- قسم قديح: وهو ليس بحسن ولا تام كقوله بسم لأنه لا يعلم إلى أي شيء أضيفته.

(١) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٨٢ وما بعدها.

(٢) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٧٩.

(٣) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٨٣، حيث يقول: أما المضاف دون ما أضيف إليه كقوله تعالى "صِبْغَةَ اللَّهِ"، والوقف على صبغة قبيح لأنها مضاف إلى الله.

ثم يذكر أمثلة على تلك الأقسام من القرآن (١).

٧- خصص باباً سماه في اليايات المحذوفات:

حدد في هذا الباب أن كل اسم منادى أضافه المتكلم إلى نفسه، فالياء منه ساقطة كقوله: ﴿يَنْقُومِ أَدْكُرُوا.....﴾ (٢)، و﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ﴾ (٣)، إلا حرفين في العنكبوت وفي الزمر وهو يحدد أن كل اسم حذف ياءه اكتفوا فيه بالكسرة- ثم يخصص فصلاً يذكر فيه الفرق بين التفسير والتأويل: وهو يشير إلى أنه ذكره في التفسير، ثم أشار إلى معالجة أخرى وهي:

- الكلام في الناسخ والمنسوخ: وقد أفرد له كتاباً يختص به (٤).
- كما ذكر في التفسير الفرق بين المحكم والمتشابه (٥).

٨- (معرفة) المتشابه:

يقسمه إلى أبواب:

أ - باب من مشكل ما في القرآن من حرف واحد:

ذكر ما ورد منه في القرآن سورة سورة، بادئاً بالبقرة، ثم آل عمران، ثم النساء وهكذا... خاتماً هذا الباب بقوله: فهذه كلمات منتخبة من مشكل ما في القرآن منه حرف واحد، وهو كثير سيأتي في غضون الأبواب مع نظايرة إن شاء الله تعالى (٦).

(١) راجع ابن الجوزي: المصدر نفسه من ص ٨٤ : ٩٢.

(٢) سورة المائدة: من الآية ٢٠.

(٣) سورة المؤمنون : ٩٩.

(٤) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٩٤.

(٥) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٩٤.

(٦) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٩٤.

ب- باب ما جاء من المتشابه على حرف واحد:

حدد ابن الجوزى ما جاء من المتشابه على حرف واحد فى سور القرآن يقول:

«... فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»^(١) حرف واحد من الأعراف... فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ حرف واحد فى حم السجدة،... فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ حرف واحد فى حم المؤمن، ثم يوضح عدد مرات ورود الآيات فى القرآن حيث يقول: قوله «بِسْمِ اللَّهِ...» موضعان فى هود: «بِسْمِ اللَّهِ يَجْرُبُهَا...»^(٢) وفى النمل «بِسْمِ اللَّهِ...»، فإن قلنا إن البسمة من الفاتحة كانت فى ثلاثة مواضع وإن قلنا هى من كل سورة كانت مائة وخمسة عشر موضعاً^(٣). وهكذا يذكر الآية ثم موضعها فى سور القرآن إلى آخر الباب^(٤).

ج- باب إبدال كلمة بكلمة أو حرف بحرف من المتشابه:

يحدد فى هذا الباب ما جاء من الآيات فى سور القرآن مبدلاً فيه كلمة بكلمة

أو حرف بحرف من المتشابه وذلك من خلال عرضه لجميع سور القرآن حيث يقول فى البقرة: «... فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ...»^(٥)، وفى حم السجدة «... فَقَضَيْنَهُنَّ...» وفى البقرة: «وَقُلْنَا يَتَّعَادِمُ...»^(٦) وفى الأعراف «يَتَّعَادِمُ أَسْكُنُ...» (من الآية: ١٩)، وفى البقرة «... فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا...»^(٧)، وفى الأعراف (من الآية: ١٩) «... وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ...» وهكذا إلى آخر القرآن^(٨).

(١) سورة الأعراف: من الآية ٢٠٠.

(٢) سورة هود: من الآية ٤١.

(٣) ابن الجوزى: المصدر نفسه ص ١٠٠.

(٤) ابن الجوزى: المصدر نفسه ص ١٠٠ وما بعدها.

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٩.

(٦) سورة البقرة: من الآية ٣٥.

(٧) سورة البقرة: من الآية ٣٥.

(٨) ابن الجوزى: المصدر نفسه ص ١١٠.

د - باب الحروف الزوائد والنواقص من المتشابه (١):

يحدد أيضاً في هذا الباب ما جاء من الآيات في سور القرآن زائداً وناقصاً حرفاً ويعرض لذلك من خلال سور القرآن جميعاً، حيث يقول: في البقرة (من الآية: ٢٢) ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ...﴾ وفي يونس (من الآية: ٢٨) ﴿... بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ...﴾، في البقرة (من الآية: ٢٤) ﴿...إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَأَسْتَكْبَرَ...﴾ وفي (ص: ٤٧) ﴿... أَسْتَكْبَرَ...﴾، وهكذا إلى آخر سور القرآن (٢).

هـ- باب في المقدم والمؤخر من المتشابه:

يحدد في هذا الباب ما جاء من الآيات المتشابهات وما جاء فيها من تقديم وتأخير وعددها حيث يقول: قوله العليم الحكيم أربعة أحرف في البقرة (من الآية: ٣٢) ﴿... إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، وفي يوسف: (من الآية: ٨٢) ﴿... أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ ﴿... إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة (من الآية: ٣٢) وفي التحريم (الآية: ٢) ﴿وَاللَّهُ مَوْلَانَكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، ثم يحدد قوله تعالى: الحكيم العليم، حرفان في الزخرف (من الآية: ٨٤): ﴿... وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ وفي الذاريات (من الآية: ٣٠) ﴿... كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾، وهكذا إلى آخر الباب (٣).

و- باب مفرد من المتشابه:

ويقسم إلى أحد عشر فصلاً هي (٤):

١- النفع قبل الضرفي ثمانية أحرف في الأنعام والأعراف والرعد والفرقان.

(١) هذا الباب ناقص من مخطوطة دار الكتب برقم ٢٢ تفسير وأشير في نهاية المخطوطة إلى الأبواب الناقصة، ومثبت في مخطوطة بلدية الإسكندرية المنسوبة إلى ابن الأنباري ص ٦٦.

(٢) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٦٦، مخطوطة إسكندرية رقم ٧٠٣١/٣٥٩٩ ج.

(٣) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٧١ مخطوطة الإسكندرية.

(٤) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٧٢ مخطوطة الإسكندرية.

- ٢- الضرب قبل النفع فى تسعة أحرف فى البقرة والمائدة ويونس والفتح.
 - ٣- اللهو قبل اللعب حرفان فى الأعراف والعنكبوت.
 - ٤- اللعب قبل اللهو أربعة أحرف فى الأنعام ومحمد عليه السلام.
 - ٥- الرجفة فى القرآن فى ثلاثة مواضع فى الأعراف والعنكبوت.
 - ٦- الصيحة فى خمسة مواضع فى هود وفاطر والكهف ومريم.
 - ٧- فى ديارهم فى أربعة أحرف فى الأعراف والرعد.
 - ٨- ذكر التراب مع العظام فى خمسة مواضع فى المؤمنين والصفات.
 - ٩- أما ذكر التراب منفرداً عن العظام فى ثلاثة مواضع فى الرعد والنمل.
 - ١٠- الإنس قبل الجن فى ثلاثة أحرف فى الأنعام وسورة الجن.
 - ١١- ذكر السبيل قبل الأموال فى ثلاثة أحرف فى النساء وبراءة.
- ز- باب فيه مسائل يعانى بها فى المتشابه^(١).

يذكر فى هذا الباب الآيات المتواليات وفيها أشياء متشابهة حيث يقول: فإن

قيل أين معك تسع آيات أول كل آية قال، فالجواب إنها فى الشعراء: (من الآية: ٢٣)

﴿... قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وما جاء فى هذا الكثير أورده فى هذا الباب.

٩- باب فى كتابة المصحف وهجاه:

يفرق فى هذا الباب بين الحرف المنطوق والمكتوب إذ يقول: كل ما فى القرآن من

ذكر ألا فهو فى المصحف حرف واحد إلا عشرة أحرف فى الأعراف (من الآية: ١٠٥):

﴿... أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾. وفيها: ﴿... أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾

وفى التوبة (من الآية: ١١٨): ﴿... أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ...﴾، وفى التوبة وهود

والحج والممتحنة إلى غير ذلك وهو يذكر أن تلك العشرة الأحرف مقطوعة كتبت على الأصل

(١) ابن الجوزى: المصدر نفسه ص ٧٣ وما بعدها.

ويبين أن الأصل في "ألا" أنها أن لا لأن المواضع التي كتبت فيها موصولة بنى الخط فيه على الوصل وهو يعلل ذلك بأن النون أدغمت في اللام لقرب مخرجها فلما اندغمت النون في اللام صارتا لهما مشددة وبنى الخط على اللفظ وهو يرى أنها في كلتا الحالتين ناصبة للذي بعدها والناصب والمنصوب بمنزلة حرف، ثم يبين على سبيل الحصر.

- ١- أن كل ما ذكر في كتاب الله من ذكر النعمة فهو بالهاء إلا أحد عشر حرفاً في البقرة (من الآية: ٢٣١) ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾
- ٢- أن كل ما في كتاب الله من ذكر المعصية فهو بالهاء أيضاً ما عدا حرفين في المجادلة. وكذلك اللعنة.

٣- أن كل ما في كتاب الله من ذكر الكلمة فهو بالهاء إلا ثلاثة أمكنة.

- ٤- أن كل ما في كتاب الله ﷻ من ذكر آمن فهو في المصحف موصول إلا أربعة أحرف كتبت مقطوعة في النساء (الآية: ١٠٩) ﴿... أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾
- ٥- أن كل شيء في القرآن من ذكر الربا فهو بالواو إلا في الروم (من الآية: ٣٩) ﴿... وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا...﴾ إلى آخر هذا الباب الذي عدد فيه مواضع كثيرة من هذا القبيل (١).

١٠- باب عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه ونقطه (٢):

يبين في هذا الباب ما جاء من أقوال الناس، ويقسمه إلى فصول:

فقد ذكر في الفصل الأول: عدد سور القرآن وما جاء من أقوال وهل هي مائة وأربع

عشرة سورة أم مائة وست عشرة سورة، وهو لا يخالف في ذلك بل يقول: وكل أدى ما سمع ومصحفنا أولى بنا أن نتبع (٣)، ثم يبين في الفصل الثاني: عدد آيات القرآن ويذكر ما

(١) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ١٩ وما بعدها.

(٢) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٢٥ وما بعدها.

(٣) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٢٥.

جاء من أقوال فيها ويبين سبب ذلك اختلاف البلدان، ويذكر عدد الآيات المختلف عليها بين أهالي البلدان ثم ينهى ذلك بقوله: فقد وقع إجماع العاديين على أن القرآن ستة آلاف ومائتا آية ثم اختلفوا في الكسر الزائد على ذلك، ثم ذكر في الفصل الثالث: عدد كلمات القرآن فيذكر ما روى عن ابن مسعود أنه قال كلام القرآن سبع وسبعون ألف كلمة وأربع وثلاثون كلمة، وهو يذكر أقوال العلماء في ذلك ولا يقطع برأى، ثم يذكر عدد حروف القرآن إلى آخر هذا الباب الذي خصص في نهايته فصلاً ذكر فيه عدد آيات كل سورة من القرآن على حدة من أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس، كما بين عدد أجزاء القرآن وأرباعه وأحزابه وأشانه وأعشاره وأنصاف الأعشار وما إلى ذلك من التقسيمات التي بينها في ذلك الباب (١).

١١- باب ذكر القرائن من السور في عده على مذهب أهل الكوفة (٢).

يذكر السورة وعدد آياتها ثم يقارنها بسورة مساوية لها في عدد الآيات فيقول الفاتحة سبع ومثلها الماعون، وهكذا يحدد عدد آيات السورة ثم يأتي بمثلتها إلى آخر القرآن الكريم.

١٢- ثم ينهى كتابه بباب في ذكر الأوصاف التي شاركت أمتنا فيها الأنبياء مما ذكر في

القرآن من صفاتهم

حيث يقول: ذكر بعض القدماء أن الله ﷻ وصف أمة محمد ﷺ بثلاثين وصفاً عشرة أوصاف منها أوصاف الخليل وعشرة أوصاف منها أوصاف الكليم، وعشرة أوصاف منها أوصاف محمد الحبيب ﷺ أجمعين، فسوى بينهم وبين الخليل والكليم والحبيب في تلك

(١) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص ٤٠.

الأوصاف، فأما أوصاف الخليل عليه السلام فإنه قال فى حق الخليل ﴿... وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ
فِي الدُّنْيَا...﴾، البقرة (من الآية: ١٣٠): وقال لهذه الأمة: ﴿... ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ
أَصْطَفَيْنَا...﴾ فاطر (من الآية: ٣٢) (١).

وهكذا يعدد الأوصاف التى وصف بها الأمة الإسلامية وجاءت مطابقة لأوصاف
الأنبياء إلى آخر هذا الباب.

ثالثاً: كتاب (المجتبى من المجتبى: لنفس المؤلف) (٢)

وما يهمنى من ذلك الكتاب هو ما جاء من علوم القرآن، فالكتاب يبدأ فيه المؤلف
بعلوم القرآن ثم يسلك مسلكاً آخر لا يدخل فى مجال دراستنا، حيث ذكر المؤلف فى
مقدمة كتابه قوله: هذا الكتاب اجتبيت فيه ما اجتبيت من علوم فهو أسهل متناول
للحافظ وأحسن روضة للناظر (٣).

نبين ما جاء فى مقدمته من علوم القرآن.

١- فصل الخطاب فى القرآن (٤)

يحدد ابن الجوزى فى هذا الفصل: أن الخطاب فى القرآن على خمسة عشر وجهاً:
خطاب عام: كقوله تعالى: ﴿... الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾، الأعراف (من الآية: ١٨٩) وخطاب خاص،
كقوله: ﴿... أَكْفَرْتُمْ...﴾ آل عمران (من الآية: ١٠٦) وخطاب الجنس، كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ...﴾
وخطاب النوع كقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ...﴾، وخطاب العين كقوله تعالى: (البقرة: ٢٢)
﴿... يَتَأَدَمُ...﴾، وخطاب المدح كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، (البقرة من الآية: ١٠٨)
وخطاب الذم كقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ (التحریم من الآية: ٧) وخطاب الكرامة

(١) ابن الجوزى: المصدر نفسه ص ٧٤ وما بعدها، مخطوطة الإسكندرية.

(٢) مخطوطة دار الكتب رقم ٥٣٩ معارف عامة.

(٣) ابن الجوزى: المجتبى من المجتبى ص ٤.

(٤) ابن الجوزى: المصدر نفسه ص ٤ وما بعدها.

كقوله تعالى: ﴿... يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ...﴾، (المائدة من الآية: ٤١) وخطاب الإهانة كقوله: ﴿... فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (الحجر من الآية: ٢٤) وخطاب الجميع بلفظ الواحد، كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ...﴾، (الانفطار من الآية: ٦) وخطاب الواحد بلفظ الجميع كقوله: ﴿... وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ...﴾، (النحل من الآية: ١٢٦) وخطاب الواحد بلفظ الاثنين كقوله ﴿... أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾، (ن من الآية: ٢٤) وخطاب الاثنين بلفظ واحد كقوله ﴿... فَمَنْ رَزَقْنَاهُ يَنْمُوسِي...﴾ (طه من الآية: ٤٩) وخطاب العين والمراد به الغير كقوله: ﴿... فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ...﴾ (يونس من الآية: ٩٤) وخطاب التلون وقسمه على وجوه منها أنتخاطب ثم تخبر كقوله: ﴿... حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ...﴾، (يونس من الآية: ٢٢) ومنها أن تخبر ثم تخاطب كقوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آسَوْدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ...﴾ (آل عمران من الآية: ١٠٦) ومنها أن يخاطب عيناً ثم يصرف الخطاب إلى الغير كقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب من الآية: ٤٥) (١).

٢- فصل الوقف فى القرآن:

يبين أوجه الوقف فى القرآن ذاكراً أمثلة كل وجه دون أن يعرض ذلك على جميع القرآن مثل فعله فى كتاب فنون الأفتان والذي ذكره هنا هو ما ذكره فى كتابه فنون الأفتان (٢).

(١) لبن الجوزى: المصدر نفسه ص ٦.

(٢) لبن الجوزى: المصدر نفسه ص ٨٤ والمجتبا ص ٦ وما بعدها.

٣- فصل من عيون الحروف المبدلات من المتشابه:

يذكر ابن الجوزي في هذا الفصل الحروف المبدلات من المتشابه على مدى سور القرآن وهذا الفصل مطابق لما جاء في كتابه فنون الألفان حيث يقول: ﴿ فَسَوَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ... ﴾ في البقرة (من الآية: ٢٩)، وفي حم السجدة ﴿.. فَقَضْنَهُنَّ .. ﴾ (فصلت من الآية: ١٢) إلى آخر هذا الفصل (١).

٤- فصل من عيون الحروف الزوائد والنواقص:

وذلك مطابق تماماً لما جاء في كتاب فنون الألفان حيث يقول في البقرة (من الآية: ٢٣) ﴿ فَاتَّوَأُ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ... ﴾، وفي يونس (من الآية: ٢٨) ﴿ فَاتَّوَأُ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ... ﴾ وهكذا إلى آخر الفصل (٢).

٥- فصل من عيون المقدم والمؤخر في اللفظ:

يذكر في هذا الفصل ما جاء مقدماً ومؤخراً في اللفظ في الآيات المتشابهات حيث يقول في البقرة (من الآية: ٥٨): ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ وفي الأعراف (من الآية: ١٦١): ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ في البقرة (من الآية: ٦٢): ﴿... وَالصَّيِّعِينَ وَالنَّصْرِيَّ... ﴾ وفي الحج (من الآية: ١٧): ﴿... وَالنَّصْرِيَّ وَالصَّيِّعِينَ... ﴾. يعدد ما جاء من ذلك إلى نهاية الفصل وذلك لم يخالف ما جاء في كتابه فنون الألفان (٣).

وما جاء بكتاب المجتبا لم يختلف عما جاء بكتابه فنون الألفان سوى فصل الخطاب في القرآن الذي يعد إضافة جديدة بالنسبة لابن الجوزي في ذلك الكتاب.

(١) راجع ابن الجوزي: المجتبا من المجتبا ص ١١، فنون الألفان ص ١١٩.

(٢) راجع ابن الجوزي: المجتبا من المجتبا ص ١٥، فنون الألفان.

(٣) راجع ابن الجوزي: المجتبا ص ١٩، الفنون ص ١٤٥.

ر(بأ: كتاب جمال القراءة وكمال الإقراء) (١) لعلم الدين (السخاوي) توفي ٦٤١هـ

قسم السخاوي كتابه هذا إلى ثمانية كتب، خصص كل كتاب من تلك الكتب

لمجموعة مؤلفة من علوم القرآن:

❁ الكتاب الأول سماه: نثر الدرر في ذكر الآيات والسور:
تناول فيه العلوم اللاتية:

١- أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

٢- المكي والمدني.

٣- أسباب النزول.

٤- أسماء القرآن.

٥- أسماء سور القرآن.

٦- معنى كلمة سورة وآية.

❁ الكتاب الثاني سماه: الإفصاح الموجز في إيضاح المعجز:
تناول فيه (اللاتي):

١- إعجاز القرآن.

٢- أن القرآن غير مخلوق.

❁ الكتاب الثالث سماه: منازل الإجلال والتعظيم في فضائل القرآن الكريم
تناول فيه (اللاتي):

١- فضل القرآن.

٢- الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن.

٣- جمع القرآن.

(١) مخطوطة دار الكتب رقم ٢٥٩، قراءات طلعت.

النص القرآني عند الزركشى بين الفهم والتذوق

- ٤- عدد حروف القرآن ونصفه وعدد آية وأرباعه وأحزابه وأجزائه.
- ٥- معانى القرآن التى نزل عليها.
- ٦- ذكر تأليف القرآن.
- ٧- ذكر تلاوة القرآن وفضلها وصورتها.
- ٨- فضل حامل القرآن ومتعلمه ومعلمه.
- ٩- ذكر ختم القرآن.

❁ الكتاب الرابع سماه: أقوى العدد فى معرفة العدد:

تناول فيه (للأتى):

١- عدد آى القرآن سورة سورة.

٢- ذكر الشواذ.

❁ الكتاب الخامس سماه: مراتب الأصول وغرائب الفصول:

تناول فيه (للأتى):

١- ذكر النبى ﷺ وأزواجه وأصحابه والتابعين.

٢- ذكر أحوال القراء فى إقراءهم وقراءاتهم وما يتصل بذلك.

٣- باب الاستعانة.

٤- باب البسمة.

٥- باب الإدغام.

٦- باب الإمالة.

ثم تبه أمام الكتاب السادس الذى سماه:

منهاج التوفيق إلى معرفة التجويد والتحقيق. بأنه ساقط.

النص القرآني عند الزركشى بين الفهم والتذوق

❁ الكتاب السابع: الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ:

تناول فيه ما جاء من الناسخ والمنسوخ فى القرآن سورة سورة.

❁ الكتاب الثامن سماه: من علم الاهتداء فى معرفة الوقف والابتداء:

قسمه أربعة أقسام: وقف تام، كاف، حسن، قبيح.

وبهذا فقد بان لنا ما جاء بكتاب جمال القراء وكمال الإقراء من علوم وفنون التى يقول عنها فى مقدمة الكتاب: وأن أشرف العلوم ما كان منه بسبيل وأجل الرسوم فنونه التى هى أعلى الدرجات فى التقديم والتفضيل وفى هذا الكتاب من علومه ما يشرح الأبواب ويفرح الطلاب وينيلهم المنى ويفيدهم الغنى ويريحهم من العناء ويمنحهم ما دعت إليه الحاجة بأيسر الاعتناء^(١)، بادئاً بنثر الدرر فى نكر الآيات والسور:

١- أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل:

يذكر أن أول ما نزل من القرآن: (العلق من الآية: ١) ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ...﴾. وذلك

فى قول عائشة رضى الله عنها ومجاهد وعطاء بن يسار وعبيد بن عمير وأبى رجاء العطاردى، ثم يذكر حديث عائشة فى ذلك الشأن^(٢)، ثم يبين ما نزل بعد اقرأ ويذكر سور القرآن على ترتيب النزول^(٣)، ثم بين أن آخر ما نزل على النبى ﷺ قوله تعالى: ﴿... وَأَنْتُمْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾ (البقرة من الآية: ٢٨١) يقول فبقى النبى ﷺ بعدها تسعة أيام ثم قبض^(٤).

٢- المكى والمدنى:

بين ما جاء نزوله فى مكة بقوله: وكانوا إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت مكية^(٥)، ثم

يبين ما هو مكى وما هو مدنى مستقصياً ذلك مبيناً ما جاء فى ذلك من خلاف.

(١) السخاوى: جمال القراء وكمال الإقراء ص ١ مخطوطة دار الكتب.

(٢) السخاوى: المصدر نفسه ص ٢.

(٣) السخاوى: المصدر نفسه ص ٢ وما بعدها.

(٤) السخاوى: المصدر نفسه ص ٣.

(٥) السخاوى: المصدر نفسه ص ٤.

٣- أسباب النزول:

يذكر في أثناء ذكره للمكى والمدنى أسباب نزول الآية، حيث يقول: وكذلك قالوا فى الشورى آيات غير مكية، قال ابن عباس لما نزل: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى قال رجل من الأنصار والله ما أنزل الله هذا فى القرآن فأنزل ﷺ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ تُحْتَمَرْ عَلَىٰ قَلْبِكَ...﴾ (الشورى من الآية: ٢٤) قال ثم إن الأنصارى تاب وندم فأنزل الله تعالى (الشورى من الآية: ٢٥): ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ...﴾، إلى قوله (ال عمران من الآية: ٤): ﴿... هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، فهو يستدل بأسباب النزول عن كون تلك الآيات مدنيات أم مكيات، وبين الخلاف فى ذلك حيث يقول: فهذا جميع ما ذكرته هو المختلف فيه وما لم أذكره من السور فلا خلاف فيه^(١).

٤- (معرفة) أسماء القرآن وسوره وآيه ومعنى كلمة سورة وآية:

يذكر أن من أسماء الكتاب العزيز: القرآن ويبين أنه منقول من المصدر ثم يبين دخول اللام عليه فيجعلها كدخولها فى العباس ويعلل ذلك لأنها بمنزلة الصفات الغالبة كذا قال سيبويه والخليل، ومن معانى القرآن الجمع من قولهم قرأت الشئ، أى جمعته ويذكر ما جاء فى ذلك من الأقوال. ذاكراً ما جاء فى القرآن من الآيات الدالة على ذلك ثم يبين التأويلات التى تدل على أن له اسمين قوله: وإنما ذهب ابن كثير إلى أنه اسم من أسماء الكتاب العزيز فيكون على قوله له اسمان قرآن من قرأت وقرآن من قرنت وهذا واضح لا إشكال فيه^(٢)، ثم يبين أن من أسمائه الفرقان وهو منقول من المصدر على وزن فعلان نحو الغفران والكفران، وهو ينفى أن يكون اسمه الفرقان صفة قوله ﷺ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، (القبامة من الآية: ١٧) فلو كان صفة لم تجز هذا الإضافة لأن الصفة لا

(١) السخاوى: المصدر نفسه ص ٧.

(٢) السخاوى: المصدر نفسه ص ٩.

تضاف إلى الفاعل^(١) ثم يذكر معنى الفرقان من أقوال الناس حيث يقول: الفرقان ما فرق بين الحق والباطل ثم يذكر أن من أسمائه الكتاب في قوله تعالى:

﴿... مَا فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾، (الأنعام من الآية: ٢٨) وهو يرجح الكتاب المسمى به التنزيل أنه يراد به المكتوب^(٢).

ثم يذكر أن من أسمائه الذكر والتنزيل والقصص والروح والمثاني، وهو يستدل في ذلك كله بما جاء من أسمائه في آيات القرآن الكريم، وقد ذكر أسماء كثيرة للقرآن في هذا الباب.

ثم يبين بعد ذلك أسماء سور القرآن سورة سورة بعد أن يقسمه إلى: السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، ثم المثني، ثم المفصل، ثم المثاني^(٣)، ثم بعد أن يستعرض أسماء سور القرآن، يوضح لنا معنى كلمة سورة حيث يقول: والسورة في اللغة الرفعة والاعتلاء قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب

ثم يبين أن السورة قد تهمز كما قال أبو عبيد وهي من أسأرت أي بقيت بقية وفضلة^(٤)، ثم يبين معنى الآية فيقول: والآية في العربية الدلالة على الشئ والعلامة وسميت آيات القرآن بذلك لأنها علامات وشواهد ودلالات^(٥).

٥- (معرفة) إعجاز القرآن:

يبين في هذا الباب أن القرآن العظيم معجز من طريق بديع نظمه وغرابة أساليبه عن معهود كلام البشر، مختص بنمط غريب لا يشبه شيئاً من القول في الوصف والترتيب

(١) السخاوي: المصدر نفسه ص ١٠.

(٢) السخاوي: المصدر نفسه ص ١١.

(٣) السخاوي: المصدر نفسه ص ١٣.

(٤) السخاوي: المصدر نفسه ص ١٥.

(٥) السخاوي: المصدر نفسه ص ١٦.

لا هو من قبيل الشعر ولا من ضروب الخطب والسجع، يعلم من تأمله أنه خارج عن المؤلفين مباين للمعروف متناسب في البلاغة متشابه في البراعة برئ من التكلف منزه عن التصنع والتعسف، ولقد عجزت العرب مع قدرتها على التصرف في الكلام والفصاحة وفروع البلاغة عن معارضة سورة ومن السور ما يقل عدده وقد أعلم أنهم لا يقدرّون على ذلك فنطق بلسان الحال بعجزهم ووقوع إياسهم من الوصول إلى شيء منه، فالقرآن إذاً لهذا السبب أعظم آياته ﷺ وأوضح الأدلة على صحة نبوته (١).

٦- (معرفة) أن القرآن غير مخلوق:

يؤكد أن كلام الله غير مخلوق لما أجمعت عليه أئمة المسلمين كسفيان الثوري ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل وعامة الفقهاء والعلماء، وهو يقول: فلو كان القرآن مخلوقاً كان إما جسماً وإما عرضاً، والجسم يقوم بنفسه فلو كان القرآن جسماً لكان قائماً بنفسه ويلزم من ذلك وجود كلام غير قائم بمتكلم ولا يصح أيضاً أن يكون عرضاً مخلوقاً لأنه لو كان كذلك لم يخل أن يقوم بنفس الباري ﷻ، أو بغيره أولاً في محل والله تعالى واحد ليس بمحل للحوادث فاستحال أن يخلقه في نفسه وكذلك لا يصح أن يخلقه في لا غيره لأنه كان يكون كلاماً للذي خلق فيه وصفة له (٢).

٧- فضائل القرآن العظيم:

أفرد السخاوي لفضائل القرآن باباً طويلاً ذكر فيه ما جاء من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ في فضل القرآن حيث يقول: عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ

(١) السخاوي: المصدر نفسه ص ١٨.

(٢) السخاوي: المصدر نفسه ص ١٩.

يقول الرب ﷺ: من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين
وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله من خلقه (١).

إلى ما ذكره من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ في هذا الشأن، ينتقل بعد أن
يبين فضائل القرآن إلى ذكر فضل كل سورة من القرآن ذاكراً في ذلك ما روى من
الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ، حيث يقول في ذكر فاتحة الكتاب: حدثنا
أبو المظفر عبد الخالق بن فيروز الجوهري رحمه الله ثنا أبو الفضل محمد بن ناصر ثنا
أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الأنباري ثنا أبو علي الحسين بن ميمون بن محمد
بن عبد الغفار ثنا أبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوة ثنا الإمام عبد الرحمن
أحمد بن شعيب بن علي النسائي ثنا محمد بن منصور عن سفيان عن الزهري عن محمود
بن الربيع عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب (٢)
إلى آخر الأحاديث التي ذكرت في فضل سور القرآن والتي ذكرها السخاوي في كتابه.

٨- معاني القرآن التي نزل بها:

والمقصود بها الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن، حيث يروى في ذلك ما ذكره
أبو عبيد بإسناده عن أبي سلمة قال، قال: رسول الله ﷺ: نزل القرآن على سبع حلال
وحرام ومحكم ومتشابه وضرب الأمثال وخبر ما كان قبلكم وخير ما هو كائن، وفي رواية
راشد ابن سعد عن النبي ﷺ فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه واعملوا بحكمة وآمنوا بمتشابهه
واعتبروا بأمثاله ذكر السبعة الأحرف أبو عبيد عن عبد الرحمن بن القاري ما كان من عمر
بن الخطاب مع هشام بن حكيم وما كان من تصويب قراءتهما وقوله ﷺ إن هذا القرآن
نزل على سبعة أحرف (٣).

(١) السخاوي: المصدر نفسه ص ١٩.

(٢) السخاوي: المصدر نفسه ص ٢١.

(٣) السخاوي: المصدر نفسه ص ٣٤.

٩- (معرفة) تأليف القرآن:

يستند في ذلك ما رواه أبو عبيد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة قال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا، ثم يبين ما كان من أمر سورة براءة ولماذا لم يفصل بينها وبين الأنفال بسطر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ما جاء في ذلك منقول عثمان بن عفان رضي الله عنه (١).

١٠- (معرفة) جمع القرآن:

وهذا الباب مرتبط بما قبله فمعنى هذا أن القرآن كان مجموعاً في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن السخاوي وغيره قد ذكروا أن أول من جمع القرآن بين اللوحين هو أبو بكر رضي الله عنه لما ذكره أبو عبيد وما روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره، وهو يذكر قصة جمع أبي بكر للقرآن وكيف جمعه، ثم عند من حفظ بعد وفاته، ثم بعد وفاة عمر حتى جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه من النسخة المحفوظة عند حفصة، وما كان من أمر المصاحف الأخرى، ويورد في كل هذا ما جاء من الأخبار التي رويت في ذلك (٢).

١١- (معرفة) تلاوة القرآن وفضلها وصورتها:

يبين معنى التلاوة فيقول: التلاوة الإتيان من قولهم تلا الشيء الشيء إذا تبعه كان قارئ القرآن يتبع في قراءته ما أنزله الله تعالى كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتبع ذلك إذا قرأ عليه جبريل، ثم يبين ما جاء من الأحاديث التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كيفية التلاوة الصحيحة للقرآن وكيف كان يقرأ وفضل قراءة القرآن حيث يقول: روى أبو عبيدة بإسناده عن عقبه بن عامر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ونحن في المسجد نتدارس

(١) السخاوي: المصدر نفسه ص ٣٥.

(٢) السخاوي: المصدر نفسه ص ٣٧.

القرآن فقال تعلموا كتاب الله ﷺ واقتنوه وحسبت أنه قال وتغنوا به فوالذي نفسي بيده لهو أشد تغلثاً من المخاض في العقل قال أبو عبيد ومعنى تغنوا به اجعلوه غناكم من الفقر ولا تعدوا الإقلال^(١)، إلى آخر ما جاء في هذا الباب.

١٢- فضل حامل القرآن ومتعلمه ومعلمه:

يذكر في ذلك فضل حامل القرآن ومتعلمه ومعلمه مستدلاً بما جاء من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ فمما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: أن الله سبحانه وتعالى جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها وإن من تعظيم جلال الله تعالى إكرام ثلاثة الإمام المقسط وذو الشيبة المسلم وحامل القرآن غير المغالي فيه ولا الجافي عنه إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرها في هذا الباب في فضل حامل القرآن ومتعلمه ومعلمه^(٢).

١٣- ذكر عدد حروف القرآن ونصفه وعدد آيه وأرباعه وأحزابه وأجزائه:

يفرد لهذا الباب جانباً كبيراً من كتابه حيث يذكر فيه أن الحجاج بن يوسف جمع الحفاظ والقرآن وقال أخبروني عن القرآن كله كم هو من حرف قال فجعلنا نحسب حتى أجمعوا أن القرآن كله ثلثمائة ألف حرف وأربعون ألف حرف وسبعمائة حرف وست وأربعون حرفاً، ثم ذكر نصف القرآن وعدد حروفه وعدد آيه ثم ذكر أرباعه وأحزابه وأجزاءه وأعشاره إلى غير ذلك في هذا الباب^(٣).

ثم يبين بعد ذلك عدد آي القرآن سورة وما جاء فيها من خلاف، ثم يذكر الشواذ ثم يبين أحوال القراء في إقراءهم وقراءتهم وما يتصل بذلك ويفرد باباً للاستعانة، ثم القول

(١) السخاوي: المصدر نفسه ص ٣٨.

(٢) السخاوي: المصدر نفسه ص ٤٨.

(٣) السخاوي: المصدر نفسه ص ٥٤.

فى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وهل هى آية فى كل سورة، ثم باباً للإدغام وياً للإمالة مما يدخل فى علم القراءات (١).

ولم نتمكن من الإطلاع على الكتاب السادس المسمى: منهاج التوفيق إلى معرفة التجويد والتحقيق، حيث تنبه أنه ساقط ولم نستدل عليه.

ثم يبين بعد ذلك ما جاء من الناسخ والمنسوخ، ثم يبين الوقف فى القرآن ويقسمه أربعة أقسام: وقف تام، ووقف كاف، ووقف حسن، ووقف قبيح، والكتاب يحتاج منا إلى دراسة مستفيضة فهو راجع لعلوم القرآن ولكن لصعوبة الخط فهو خال تماماً من النقاط والإعجام ويحتاج إلى تحقيق وتنقيب.

فقد بان لنا العلوم التى جمعتها كتب علوم القرآن التى أفردناها بالدرس. وغان لنا أن نبين ما اتفق فى مناقشته أصحابها مما جاء بها من علوم للقرآن وما انفرد به كل منهم، ومدى ما اتفقت تلك الكتب مع ما جاء بمقدمات كتب التفسير التى أفردنا لها الفصل الأول من هذا البحث والله ولى التوفيق.

(أولاً: ما اتفق فى مناقشته أصحاب كتب علوم القرآن):

١- معنى السبعة أحرف التى أنزل بها القرآن:

اتفق فى مناقشتها الباقلانى وابن الجوزى والسخاوى ولكل منهم منظور خاص به فى مناقشته، فالباقلانى قد ناقشها من وجهة نظره البلاغية، وقد ذكر أربعة تأويلات لذلك، نجد ابن الجوزى يناقش بتوسع فيورد أربعة عشر وجهاً يرجع القول الرابع عشر على أن المراد بالحديث أنزل القرآن على سبع لغات، بينما نجد السخاوى قد حدد ذلك فى حديث واحد لم يزد عليه سوى ما كان من عمر بن الخطاب ؓ مع هشام بن حكيم وما

(١) السخاوى: تنبه أن هذا الكتاب ساقط فى أغسطس سنة ١٩٣٥م.

٤- ما جاء في بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اتفق في مناقشته الباقلائي والسخاوي، وقد دار الخلاف حول هل هي من القرآن أينما وقعت، وقد أوضح ذلك الباقلائي بقوله: إن البسمة ليست آية من فاتحة الكتاب ولا من فاتحة كل سورة، وإنما هي قرآن في سورة النمل خاصة. ويستدل بذلك على أن النبي ﷺ أنه ترك الجهر بها في الصلاة.

٥- معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل:

اتفق في مناقشة ذلك الباقلائي والسخاوي، وقد اتفق العلماء على أن ﴿أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ...﴾ (العلق من الآية: ١) هي أول ما نزل على رسول الله ﷺ، أما آخر ما نزل فعلى قول الباقلائي الذي أرجحه: أن اختلاف العلماء حول آخر ما نزل راجع إلى أن يكون كل قائل من الصحابة إنما حكم بأن آخر ما نزل ما ذكره لأنه آخر ما سمعه من النبي ﷺ.

٦- معرفة القراءات وهل هي الأحرف السبعة:

ذكر الباقلائي وبين أن القراءات السبعة معنية بقول النبي ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف وهو يعدها أوجه وقراءات وله وجهة نظر بينما هو على خلاف مع أئمة المسلمين في هذا، نجد السخاوي قد حدد من القراءات باب الإدغام وباب الإمالة في كتابه مراتب الأصول وغرايب الفصول.

٧- معرفة أن القرآن معجزة الرسول ﷺ:

اتفق الباقلائي والسخاوي في مناقشة إعجاز القرآن، فقد ذكر الباقلائي أن القرآن معجز لما فيه من أنباء الأولين، ومن الأخبار عن الغيوب بالإضافة إلى نظمه وبلاغته، يتفق ذلك وقول السخاوي أنه معجز من طريق بديع نظمه وغرابة أساليبه إضافة إلى أخباره عن أنباء الأولين والغيوب المستقبلية.

٨- معرفة جمع القرآن:

اتفق الباقلانى والسخاوى أن أول من جمع القرآن بين اللوحين هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه وكل منهما يرد على ما جاء من خلاف فى هذا ويستدل بالأحاديث والأخبار المروية وإن كان هذا قد لقى اهتماماً من الباقلانى.

٩- معرفة فضائل القرآن:

اتفق فى مناقشة هذا ابن الجوزى والسخاوى فقد أورد كل منهما ما جاء من الأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى فضائل القرآن زاد السخاوى أنه افرد فضائل كل سورة من سور القرآن.

١٠- معرفة أن القرآن غير مخلوق:

اتفق ابن الجوزى والسخاوى وأئمة المسلمين ما عدا المعتزلة بأن القرآن غير مخلوق وقد افرد ابن الجوزى أقوال الصحابة فى ذلك ثم ما جاء من أقوال أهل البلدان، نجد السخاوى يستدل بأقوال أئمة المسلمين ثم يناقش تلك القضية مناقشة فلسفية حيث يقول: فلو كان القرآن مخلوقاً كان إما جسماً وإما عرضاً والجسم يقوم بنفسه فلو كان القرآن جسماً لكان قائماً بنفسه ويلزم من ذلك وجود كلام غير قائم بمتكلم ولا يصح أن يكون عرضاً مخلوقاً لأنه لو كان كذلك لم يحل أن يقوم بنفس البارئ صلى الله عليه وسلم أو بغيره أولاً فى محل والله تعالى واحد ليس بمحل للحوادث فاستحال أن يخلقه فى نفسه وكذلك لا يصح أن يخلقه فى غيره لأنه كان يكون كلاماً للذى خلق فيه وصفة له.

١١- معرفة الوقف والابتداء:

اتفق فى مناقشته ابن الجوزى والسخاوى فى تقسيم الوقف إلى وقف تام وحسن وقبيح، وأضاف السخاوى: وقف كاف ثم بين كل منهما معنى كل وقف واستعرض ذلك على آيات القرآن الكريم.

٨- معرفة جمع القرآن:

اتفق الباقلاني والسخاوي أن أول من جمع القرآن بين اللوحين هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه وكل منهما يرد على ما جاء من خلاف في هذا ويستدل بالأحاديث والأخبار المروية وإن كان هذا قد لقي اهتماماً من الباقلاني.

٩- معرفة فضائل القرآن:

اتفق في مناقشة هذا ابن الجوزي والسخاوي فقد أورد كل منهما ما جاء من الأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم في فضائل القرآن زاد السخاوي أنه افرد فضائل كل سورة من سور القرآن.

١٠- معرفة أن القرآن غير مخلوق:

اتفق ابن الجوزي والسخاوي وأئمة المسلمين ما عدا المعتزلة بأن القرآن غير مخلوق وقد افرد ابن الجوزي أقوال الصحابة في ذلك ثم ما جاء من أقوال أهل البلدان، نجد السخاوي يستدل بأقوال أئمة المسلمين ثم يناقش تلك القضية مناقشة فلسفية حيث يقول: فلو كان القرآن مخلوقاً كان إما جسماً وإما عرضاً والجسم يقوم بنفسه فلو كان القرآن جسماً لكان قائماً بنفسه ويلزم من ذلك وجود كلام غير قائم بمتكلم ولا يصح أن يكون عرضاً مخلوقاً لأنه لو كان كذلك لم يحل أن يقوم بنفس الباري تعالى أو بغيره أولاً في محل والله تعالى واحد ليس بمحل للحوادث فاستحال أن يخلقه في نفسه وكذلك لا يصح أن يخلقه في غيره لأنه كان يكون كلاماً للذي خلق فيه وصفة له.

١١- معرفة الوقف والابتداء:

اتفق في مناقشته ابن الجوزي والسخاوي في تقسيم الوقف إلى وقف تام وحسن وقبيح، وأضاف السخاوي: وقف كاف ثم بين كل منهما معنى كل وقف واستعرض ذلك على آيات القرآن الكريم.

١٢- معرفة عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه وأجزائه وأحزابه ونقطه:

اتفق في ذلك ابن الجوزي والسخاوي، فقد ذكر ابن الجوزي ما جاء في مصاحف الصحابة من الزيادة والنقصان وذكر أن منهم من عدّها مائة واثنى عشرة سورة ومنهم من عدّها مائة وست عشرة سورة، وهو لا يخالف في ذلك بل يقول: وكل أدى ما سمع ومصحفنا أولى بنا أن نتبع، ثم يذكر ما كان من فعل الحجاج في جمعه للحفاظ والقراء وعدّهم آيات القرآن وكلماته وحروفه وأرباعه وأحزابه ونقطه وقد أورد باباً واسعاً في معرفة ذلك كما أورد السخاوي ذلك.

١٣- معرفة أى لغة نزل بها القرآن من غير لغات العرب:

ذكر الباقلاني أن القرآن نزل بلغات العرب جميعهم، بينما ابن الجوزي لم يقطع في ذلك بقول فقد أورد أقوال على بن أبي طالب وابن عباس من أن القرآن فيه من كل لسان، بينما يذكر قول مخالفيهم في ذلك ثم يذكر قول من وفق بين الطرفين وهو قول أبي عبيد: الذي يقول إن في القرآن حروفاً بغير لسان العرب في الأصل ثم لفظت بها العرب فعربتها فصارت بتعريبها إياها فهي عربية في هذه الحالة أعجمية في الأصل.

ثانياً: ما انفرو به كل منهم فيما جاء من علوم القرآن:

أ- أبو بكر الباقلاني:

١- معرفة نقل القرآن ونظمه والحجة به.

٢- معرفة ترتيب السور والآيات.

٣- إبطال القراءة بالمعنى دون اللفظ.

٤- معرفة الكناية في القرآن.

٥- معرفة البلاغة في القرآن.

النص القرآني عند الزركشي بين الفهم والتذوق

- ٦- معرفة البيان في القرآن.
 - ٧- معرفة التكرار في القرآن وفوائده.
- ب- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي:

- ١- معرفة المتشابه في القرآن.
- ٢- معرفة كتابة المصحف وهجاءه.
- ٣- معرفة القرائن من السور.
- ٤- معرفة الخطاب في القرآن.
- ٥- معرفة صفات الأمة من صفات الأنبياء في القرآن.

ج- علم الدين السخاوي:

- ١- معرفة أسباب النزول.
- ٢- معرفة الناسخ والمنسوخ.
- ٣- معرفة تأليف القرآن.
- ٤- معرفة تلاوة القرآن وفضلها وصورتها.
- ٥- معرفة فضل حامل القرآن ومتعلمه ومعلمه.
- ٦- معرفة فضل ختم القرآن.
- ٧- معرفة الشواذ من القرآن.
- ٨- معرفة أحوال القراء وقراءتهم وإقراءهم.
- ٩- معرفة الاستعاذة.

